حفيف السنابل

مجموعة قصصية

علي حـزيـــن

الطبـعــة الثانية

2021م- 1442هـ

عنـــوان الكتاب: حفيف السنابل

اســـم المؤلف: علي حزيـــن

التصنيف الأدبي: مجموعة قصصية

رقـم الإيـــداع: 5305 / 2021

الترقيــم الدولي: 6 - 025 - 998 - 977 – 978

التدقيــق اللغوي: د. هبة ماردين
تـصميم الغلاف: محمد وجيـــه

التنسيق الداخلي: محمد وجيـــه
رقـــم الطبعـة: الطبعـة الأولى

المديـــــر العام: د. فادية محمد هندومة

دار ديوان العرب للنشر والتوزيع ـ مصر ـ بورسعيد

جوال: 00201211132879

البريد الإلكتروني: mohamedhamdy217217@gmail.com

حقوق الطبـع والنشر لهذا المصنف محفوظة للمؤلف، ولا يجـوز بأي صورة إعادة النشر الكلي أو الجزئي، أو نسخه أو تصويره أو ترجمته أو الاقتباس منه، أو تحويله رقمياً وإتاحته عبر شبكة الإنترنت، إلا بإذن كتابي مسبق من المؤلف أو النـاشر.

حفيف السنابل

مجموعة قصصية

علي حـزيـن

دار ديوان العرب للنشر و التوزيع
ديوان العرب
حقق حلمك

إهداء

طوبى للبسطاء والكادحين والصابرين

طوبى لقلوبٍ ملئت بالحب والصدق والخير والنور،

طوبى لأيادٍ بيضاء

طوبى لأرواح صافية نقية شفافة

طوبى لنفوس راضية مرضية

طوبى لهم جميعاً ...

علي حزين

****

قصة قصيرة ..

سلال من الشوك

صمت رهيب، قاتل.. لا يقطعه غير سقط أقدام ثقيلة، منتظمة، رتيبة.. أجهدني ثقل الظلام وثقل الصمت.. ألقيا في قلبي الرعب.. اتجهت صوب الباب.. خلعتُ عيناي علي صاحب الخطوات ــ كدقات عقارب الساعة المنتظمة ــ ألمح ظلاً ألقاه ضوء المصباح علي الأرض... ناديتُ.. فلم يرد.. فضربت الباب بعصبية.. اقترب صاحب الظل بخطواتٍ رتيبة.. جلس علي كرسي مصنوع من الجريد، يئز.. أمسك دفتراً ضخماً.. وضعه أمامه علي" الطرابيزة الخشبية المتصدعة المتهالكة ".. غير آبه.. أو مكترث بصوتي المبحوح.. ينهمك في تقليب الصفحات التي أمامه.. وأنا أكيل له ولأبيه السباب ، والشتائم.. بلا جدوى..

صمت رهيب، قاتل يلف المكان.. يشبه صمت المقابر.. وأنا في حالة ذهول.. واندهاش ... هنيهة تفكيرٍ ......

"حين كنت واقفاً.. كتمثال رمسيس، ويداي مكبلة بالحديد.. مرتجفاً.. تدور عيناي في محاجرها، تتفقد المكان، ونظرات الجالس خلف المكتب الأنيق.. وهي تلفّني.. تَخْترِقُنِي.. تفْزِعُني.. وهو يرتب أوراقه فوق المكتب..

باهتمام، وعناية، ويَرْمُقُني، من حين لآخر، بنظرات حادة.. فاحصة.. مرت دقائق كئيبة، وثقيلة على النفس.. ينهض.. يتجه نحوي.. في بدلته الزيتية.. ممشوق القامة، مفتول العضلات، أبيض البشرة والأسنان.. صوت عربة من بعيد، يدخل غرفة المكتب من النافذة المطلة على الحديقة.. يشق غلاف الصمت الجاثم على صدري.. ثم يرتئب الصمت من جديد.. يقترب مني بخطوات واثقة من نفسها..أخذ يدور حولي.. لمدة ثواني معدودة.. شعرت ببرد يديه علي كتفي.. يثبت عينيه في وجهي المرتجف.. ابتعد عني بمقدار خطوتين.. أو ثلاث، لا أذكر.. ثم استدار، وقف تجاهي.. فرك يديه.. جزَّ علي أسنانه ، هزَّ رأسه، زمجر في وجهي.. ثم عاد إلى مكانه حيث مكتبه الضخم، الفخم أدار الكرسي المتحرك.. مسح المكان بعينيه الخضراوين.. ولم ينسي قبل أن يجلس عليه.. أن يضع نظرة محدقة علي وجهي المرتعد.. وبصوتٍ خافت هادئ بعض الشيء ، سألني :

ــ ما اسمك ...؟.

ــ ....

" ليس مهماً أن أذكر اسمي.. كان من الممكن.. أن أُدعي زيداً.. أو عمراً.. ألاسم.. تافه.. المهنة.. عاطل.. أسكن مع كائنات غريبة.. لكنها أليفة بالنسبة للبسطاء أمثالي ... والمطحونين من الشعب الكادح ..علي بعد، مائة وخمسون متراً.. من محطة {طهطا} تجاه الشرق.. يقطن شارع {العبد}.. رقم

المنزل: { **33** }.. ذلك الشارع الضيق الطويل جداً الذي اقطنه.. والذي يشبه احدي ممرات الدفن الفرعوني.. والذي طالما حيرني أمره.. وكثيراً ما أغرق في سر إنشائه.. فبالرغم من أن الأرض كانت واسعة جداً.. وبرخص التراب.. إلا أنهم أنشئوه هكذا.. لا يسع اثنين في حجمي يمشون فيه بالعرض سوى.. تري هل كانوا خائفين علي الرقعة الزراعية..؟!.. أم تراهم كانوا يحبون بعضهم لدرجة أنهم لا يستطيعون البعاد عن بعض إلا بمقدار خطوتين فقط ..؟!.. أم ترى ظهر هكذا عشوائياً ..؟.. وأخيراً أفترض، بأن نساءهم الثرثارة هنَّ اللاتي طلبن من أزواجهنَّ ذلك.. حتى يستطعنّ ممارسة هوايتهنِّ المفضلة.. الرغي ، ومسك السيرة.. التي توارثنها صاغر ،عن كابر، جيلاً بعد جيل ..."...

ــ ما اسمك .؟

ــ ....!!!

" المبني قديم جداً ومتهالك، ذو جو أسطوري.. الجدران المطلية بالجير.. واللون البرتقالي الباهت.. مرسوم عليها صور بدائية، ورسومات صغيرة، وتواريخ، وأسماء كثيرةٌ جداً.. لا أعرف إلا القليل عن أصحابها.. جاءت قبلي إلى هنا.. حيث هذا المكان الموحش.. "

طارت عيناي علي نافذة الباب الحديدي الصغير، اندفعتُ إليها بقوةٍ.. تشبثتُ بها كعنكبوت مذعور، مددت عيناي للمنتهي.. فلم أر غير زاوية الجامع الصغير.. وبعض الأشجار العتيقة النائمة في سكون شتوي جميل،

وحزن شديد.. غرفة السلاح ينبعج منها أصوات هذر، ومزر لجوارها كشاف كبير، يبدو أنه جديد.. يرسل شلالات من الضوء في الفناء الترابي الضيق، ليحيله إلى نهارٍ صامت..

والأرض المسفلتة تحت أقدامي تضرس أسناني.. وحشرات غريبة الشكل أألفها جيداً.. أراها تسبح حولي ، وتطير في الهواء.. ومن معي في الحجز، منهم من يغط بنومه، ومنهم من هو في وجوم ، وشرودُ ذّهني.. ومنهم من يتبادل دخان السجائر، والكلام بصوتٍ خافت... وصاحب الخطوات المنتظمة، الثقيلة، الرتيبة، أجهده التعب والسهر.. فتضخم فوق الكرسي وأنتفخ بشخيره.. فالنوم قد سرق عينيه المقبقبةُ كالضفدع..

وعم سكون الليل المكان.. حتى صار يحلق في السماء ، وفوق الأرض كغراب أسود ناعق بجناحين كبيرين، ليجعله مرتعاً للعفاريت، ومسرحاً للأشباح، ونقيق الضفادع، وصفير الصراصير.. وكلباً ينبح أنثاه.. وأغصان الأشجار الصنوبرية تداعبها نسمة هواء باردة.. فتتساقط أوراقها لتنام في خشوع تحت جزع الشجر العتيق.. والهواء الممزوج برائحة العفن يملأ أنفي، يزكمها.. وأنا مازلت معلقاً بالنافذة الصغيرة ، أتابع هذه المسرحية المرعبة.. والتي لا أدري متى ستنتهي.؟.. أو على ما ستنتهي.؟.. تختلط الأحداث برأسي.. تتداخل الصور.. تتداعى ....

"التفت الواقف بجواره.. نحوي.. غمز بعينه.. وهو يشير إليّ.. مستفسراً في اهتمام ، بعدما صفعني بالقلم.. فأجابه الجالس على المكتب الفخم الضخم.. بصوت هادئ.. لم يتغير بعد نبرته.. وضحكة ذات مغذى: ..

"شوهد وهو يتسكع في الطرقات.. ويقف علي نواصي الشوارع.. يعاكس بنات المدارس، بألفاظ بذيئة.. وقد ضبط أخيراً متلبساً، يقفز من فوق سور "مدرسة البنات .." ....

وكان الكاتب منكباً وغارقاً.. لأذنيه في الأوراق التي أمامه.. والرجل الأنيق ، ذو العينين الخضراوين ، الواسعة ، الفاحصة ، ممسكاً بعقدته الحمراء.. الملتفة حول عنقه ... يضغط عليها بأحكام ..." ...

الصمت مازال مخيماً في المكان.. والليل يلف المدينة.. بعباءته السوداء.. كماردٍ ، مخيف يشدني من رأسي.. والظنون خناجر تذبح عقلي.. ساورني شك.. بأنه كابوس مفزع، مزعج تمنيت لو أنه كان كذلك... ولكن هيهات...

ضربت جبهتي بحد الباب.. حتى أفيق ، أستيقظ.. فلم أعد أطيق هذه الرائحة العفنة ، الكريهة.. فهي تخنقني ، وتتسرب تحت مسام جلدي.. وتصعد إلى تلابيب مُخي لتتلفه ، وتدمره.. وتتوغل لتسكن في أحشائي.. فمياه المجاري الطافحة ، لم تترك لي ولو شبراً واحداً لأستريح فيه وخُيِّلَ إليّ أنها ربما قد تغرقني بعد قليل ــ تبت لكم جميعاً ــ ...

حاولت أن أتذكر.. ما الذي حدث بالضبط ..؟.. عصرت رأسي.. ذاكرتي تخونني ــ هي دائماً هكذا ــ سألت نفسي ..؟.. وأنا أقطع أرض الحجر ذهاباً ، وإياباً.. ضارباً أخماساً في أسداس وأعدت سؤالاً علي نفسي.. ؟... " ماذا حدث بالضبط ..؟ " ... أنا لم أفعل شيئاً.. البتة..!!.. حاولت أن أتذكر.. أفتكر ..؟...

"حين رأيته واقفاً في المواجهة.. بزيّه المميز سألته ..؟!.. "هل من الممكن أن أجتاز وأمر من وسطهم حتى ألحق بالقطار الأخير الذي سيقلني ..؟! ".. أذكر حينها صفعتني نظرته الحادةٍ.. ثم أخذني من يدي.. ثم أوقفني أمامهم وهم جلوس تحت مظلةٍ ملونةٍ.. صارت أيديهم تُقَلّبني.. ــ تفتيش ذاتي ـــ.. وأنا واقف مندهشاً.. دس أحدهم يده بين أفخاذي.. !.. بينما الآخر راحت يداه تُقَلِّبِني.. تبحث تحت إبطي، وفي جيوبي عن شيء ما.. !.. أما الثالث أمسك بأوراق البطاقة ، واشتراك القطار ..!.. وعلبة سجائري وعلبة الثقاب ــ لم ينس أن يفتشها هي أيضاً ـــ.. كان هذا كل ما أملك آن ذاك.. ثم وضعوني في عربةٍ مكشوفةٍ للسماء في قلب الميدان.. تحت الشمس المحرقةٍ .!!.. وكنت أتصبب عرقاً.. وهم وجنودهم، يصوبون بنادقهم نحوي.. وعيون المارة المتلصصة، المتطفلة.. والذين ألِفَتْ أقدامهم الطريق.. ينظرون إليّ في إشفاق.. ومنهم من رُسمت علي وجهه علامات تعجب، واستفهام اندهشت لذلك المشهد الذي أنا فيه.. وظلت أنتقل من مكانٍ إلى مكان.. ومن غرفةٍ إلى غرفةٍ أكبر منها.. ووقفت أمام كثيرين، جالسين خلف مكاتب نظيفةٍ، فخفخة.. وكل منهم قد أغرقني في سين.. وجيم.. حتى صارت تلك الورقة

اليتيمة، والتي كُتب فيها أسمي قد تحولت ــ بقدرة قادر ــ حزمةٍ من الورق.. دوسيه منتفخ بالكلام، حتى جئتُ إلى هنا.. حيث هذه الغرفة المشئومة ، اللعينة ... ــ اللعنة علي الجميع ــ ...."

فجأة تسلل إلى أُذني صوت همهمات، قادمة من الخارج.. ارتعبت.. ارتعدت.. انتفضت.. ارتجفت ــ علي طريقة الفأر الذي رأى خَنَّاقَه ــ نصبت طولي المتهالك، بالعافية.. وأنا أتسند علي الجدار البرتقالي الصدأ المتأكل.. "دوران المفتاح في القفل له وقع ، وصدى ، خاص لا يعرفه إلا من جرب السجن ".. خفت.. خنثت.. خنقت سيجارتي بين أصابعي ــ لم أشعر بلسعتها ــ يقترب صاحب الصوت.. يأتيني صوته من قريب.. يأمرني بالابتعاد عن الباب..؟!.. أنزوي بعيداً عن الباب.. أتسعت رقعت الضوء.. الشمس في كبد السماء، ومن كان معي بعضهم تنبه لفتح الباب ، والبعض لم يزل نائم.. برز أمامي صاحب الصوت شاب وسيم أمرد، لم يتجاوز الثلاثين من عمره، ذو بشرة بيضاء ملونةٍ، وعيون لامعة، معه بعض الصَوْلات، والعساكر، لم أتمكن من النظر إلى كتفه من شدة الرهبة، والخوف، وهو يدفع المتهمين للداخل..؟!.. يأمرهم أن يجلسوا.. القرفصاء.. متراصين.. اثنين، اثنين.. في حزي واحد.. يتمتم.. يشير بكتلة مفاتيح ضخمة في يده.. يعدهم.. يهز رأسه بالموافقة.. صوت ، طائش ينطلق من جوف الغرفة.. يتضجر من الحر.. وضيق النفس في الحجز.. يشدّ السجان الباب.. وهو ينظر

إلى صاحب الصوت.. بوجهٍ عبوسٍ، متجهم.. قائلاً له: .. ـــ نجِيب لك تكييف يا ابن الكـــ ....."..؟!! ...

تنطلق الأصوات من الحناجر.. بتعليقات ساخرة، مازحة.. سخيفة.. يعقبها ضحكات عالية.. وهمهمات شاتمة، وهمسات مزمجرة.. تختفي شيئاً فشيئاَ حتى تتلاشى تماماً.....و..... دخان السجائر راح يُكوِّن شبورةٍ كثيفةٍ ضبابيةٍ ، تكاد تحجب الرؤية.. يصحبها سعال رجل.. في خريف العمر.. يقال ...

"أغتصب فتاةٍ دون العشرين..؟!!.. بعدما أستدرجها إلى حقول الذرة البعيدة.. ثم افترشها، بشراهةٍ، ونهم، ولم يرحم دموعها، وتوسلاتها ..؟؟!!!.."!!.

وهناك روايةٍ أخري تقول :...

"بأن الفتاة هي التي استدرجته إلي هناك.. أكثر من مرة.. ثم طلبت منه الزواج، ليستر عرضها.. فهو من أسرة ثرية، وحتى يداري الفضيحة، وبطنها التي ارتفعت فجأة.. وارتفعت ارتفاعاً ملحوظاً.. فرفض.. فاشتكته لتنتقم منه ..!!.. "..

صوت آخر يخرج من رأسٍ مضمومة بأربطة الشاش الأبيض المتسخ باللون الأحمر الداكن ....

ـــ لو سمحتم ساعدوني في تنظيف المكان ..؟!

ينهمك في تشمير ساعديه.. يقترب من بعض الفتيه.. فينظر بعضهم لبعض.. باستغراب بالغ ثم ينفجرون بالضحك الهستيري عليه.. يبتعد عنهم بجزر.. يسمع أحدهم يذكر " نعناعة " زوجته ... ــ يقال والله أعلم ــ

"بأن امرأة هذا الرجل ، امرأة لعوب.. ومسيطرة عليه تماماً.. وهي التي فعلت به هذه الإصابة.. وقالوا.." تضربه كلما تأخر عن تلبية رغباتها، الجامحة المجنونة ، وحاجيتها التي لا تنتهي أبداً.. والرجل إمكانياته بسيطة جداً، مسكين .."

وهناك راوية أخرى تقول ... " هو الذي بطح نفسه.!! ".. وفي رواية ثالثة.. تقول.. " بأنها كرت عليه بعض الشباب " الصايع ".. وأعطتهم الثمن من جسدها الطري اللدن .!."

شعرتُ بالاختناق للحظة.. ففككتُ أزرار قميصي البني.. زفرتُ زفرة طويلةً.. تلمست أبعاضي المتداعية بالسهر ، والحمى، انخرطت دموعي من اللا شعور.. ورائحة المكان تخنقني.. وظلتُ أدور في الحجرة الضيقة .." الحجز ".. اجز علي اسناني.... وكل واحدٍ منهم، يمهَّد مكاناً له، ويهيئه للنوم ... وكأن سلالاً من الشوك.. زرعت في عيوني.. وصاحب الظل الثقيل.. استيقظ من رقاده تواً، قام من مقامه، ينظر إلى وأنا معلّق بجدار الباب الحديدي.. وأنا أطل من النافذة الصغيرة التي تطل على الفناء، يقدم لي من حين لآخر ابتسامة بلهاء، باهتة.. ثم يأتيني بأقدام ثقيلة، منتظمة، رتيبة، لأعطيه سيجارة أخرى.. والشخير ظل يتكاثر من حولي، وينضم إلى نقيق الضفادع،

وصفير الصراصير.. وحفيف الأشجار الصنوبرية.. وأوراقها الصفراء تتساقط في الفناء الضحل، النائمة في صمت، فوق الأرض اليابسة.. والصمت المطبق يخيم، والظلام الدامس يحتل المكان.. ليكوّن تيمة يتيمة شاذة، تضاف إلى منظومة الليل الكئيب، أو ينشئ سيمفونية حزينة تخرج لسانها لسيمفونية بيتهوفن الخامسة.. وكنت أتابع كل هذا في صمتٍ.. وترقب.. وقلق ....

"وصوت أذان الفجر راح ينبعث في الأفاق.. ويتردد صداه في الأرجاء، وفوق المدينة الناعسة في استرخاءٍ تام ، لأيقظها من الثبات.. وأنا قد هدأت نفسي ... و ...... "

****

قصة قصيرة

تشرد

والجوع يفترسه.. جلس في ظل شجرة.. في احدي الحدائق العامة المفتوحة.. مضغ لسانه بفكيه.. بلع ريقه الجاري.. فروائح المطعم الفخم.. الرابض أمامه.. تختلط في أنفه.. عصر بطنه بين يديه.. نظر للأجسام المتخمة بالحم.. القابعة فوق الموائد.. المفروشة بالطعام.. تلك الأجسام التي لا تنظر.. إلا للذي امامها.. تذكر امه.. التي اخبرته ذات يوم.. بانه " ولغ من لبن الكلبة " فله " حتي انتفخت بطنه.. وشبع.. وكانت تفعل ذلك مراراً.. كلما رأته يبكي.. لذلك تعلل أمه ــ لجارتها ــ نشفان دماغه.. وطبعه العنيد ..ولأنه.. ومنذ الصباح.. لم يدحل جوفه شيئاً.. غير الهواء.. وتعب من كثرة المشي.. في الشوارع.. وهو يعرض نفسه.. ككلب ضال.. علي أصحاب المقاهي.. والمحلات التجارية.. والمطاعم.. لعله يصعب علي أحدهم.. فيتخذه ابناً.. أو عبداً يخدمه.. ببطنه.. ولكنه لم يجد.. قلباً رحيماً.. شعر بالتعب يفت في عظامه.. وبمرارة الصبار في حلقه.. أوى إلى الحديقة.. حينما بدت له.. أسند رأسه المتعبة.. علي حجر صغير.. ومعدته خاوية.. فمنُذ يومين.. وصورة امه.. والكلبة " فله" أمامه.. تمني أن ينقلب لكلب كبير.. غفى قليلاً.. فرأي فيما

يري النائم.. وكأنه.. وبقدرة قادر.. صار كلباً جميلاً.. غير انه لا يعلم.. إلي أي أجناس الكلاب ينتمي.. شعر بالسعادة للحظة.. لأنه صار كلباً.. كما يتمني.. رأي الدنيا مختلفة من حوله.. عما كانت عليه تماماً.. تملكه احساس غريب.. لم يجربه.. أو سبق وان تعامل معه من ذي قبل.. رأي المطعم مازال مرابضاً أمامه.. تزين وجهته الألوان.. المرتعشة.. ويافطة كبيرة.. كتب عليها.. بالخط العريض "وكلوا وشربوا من رزق الله" وشلالات الضوء.. المنبعثة من المصابيح.. المصطفي علي جانبي الشارع.. تحيل الليل الي نهار.. صاخب.. والمارة تسير في حركة دائبة.. لا تقل.. ولا تنقطع.. سار بمحاذاة الرصيف.. حتي لا تضربه عربة مجنونة.. والهواء البارد.. المشبع بالماء.. والدخان الأبيض يخرج.. من أنفه.. وفمه.. علي هيئة دوائر صغيرة.. لاحظ الناس تفر منه وتنفر.. وتبتعد بعيداً عنه.. متقززين تارة.. وخائفين أخرى.. وقف أمام المطعم الكبير.. يهز زيله.. ولسانه خارج فمه.. يعوي بصوتٍ متقطع.. ضعيف ..وكأنه يرجوا الجالسين.. أن يلقوا إليه شيئاً.. فضحكت جثة منتفخة.. علي إحدى الموائد.. وهو ينظر إليه بأشفاق.. يمصُ عظمة صغيرة ..لفرخة محمرةٍ.. ثم يلقي بها بعيداً.. أمامه.. يجري.. ومن قبل ان تقع علي الأرض.. يلقفها بفمه.. بحركة خفيفةٍ.. سريعةٍ.. بهلوانيةٍ.. وخاطفةٍ.. أثارت انتباه الجالسين.. فتوالت عليه بقايا الطعام ..هز زيله الجميل.. وكأنه يشكرهم.. وهو في سعادة بالغة.. وقبل أن ينهمك في الأكل.. وعلي حين غفلةٍ منه.. سدد إليه صاحب المطعم.. ضربة قوية.. علي أم رأسه..

أوجعته.. وكادت أن تفقده الوعي.. لولا أنه تماسك.. وفرّ هارباً وهو يعوي.. وينبح.. ويعوي.. فانفلت الضحكات المجنونة.. والتعليقات الساخرة.. اللاذعة ..من الذين كانوا يأكلون.. وقف غير بعيد.. وهو ينظر نحو المطعم.. وينبح.. متمنياً نفسه بالرجوع إليه مرة أخرى.. ولكن الرجل الواقف أمام المطعم.. بعصاه.. جعله يغير بغيته.. ووجهته.. ليكتشف أن هناك مطعم ثاني.. فيسيل لعابه من جديد.. للروائح المتسربة.. من خلف الزجاج إلى أنفه.. يتكوم في حسرةٍ.. علي الأرض المرشوشة، اللينة وقبل أن يمسح النوم عيناه.. يري رجلاً قزم.. نحيف.. يجري عليه.. وفي يده آلة صلبة.. فينطلق.. يعدو كالريح.. وهو ينبح.. ويعوي ثم يكتشف.. مطعم ثالث.. ورابع.. وعاشر.. وفي كل مرةٍ.. يفكر فيها.. بالاقتراب.. ليأكل أو يستريح.. يجد نفسه مطارداً.. وغير مرغوب فيه.. ثم، وفجأة، وبالصدفة المحضة.. تظهر أمامه كلبة جميلة.. أقترب منها.. هزت زيلها تشممها.. نبحت، فنبح.. عوت، فعوي.. جرت أمامه.. فوجد نفسه يجري خلفها.. ليكتشف أنه في إحدى الخربات.. البعيدة عن العمران.. " مقلب زبالة كبير " نبش فضلات القمامة.. بحثاً عن الطعام.. قمقم.. أكل حتي شبع.. والكلبة واقفة أمامه.. تنتظره.. تهز زيلها .. تنظر إليه.. وتنبح.. يقترب منها.. يدور حولها.. يتشمم خلفها.. تنثني نحوه.. تضربه بيدها.. تعضه.. تعوي.. تهز زيلها.. غير مبتعدة عن وجهه.. وحين استجابت له.. فجأة.. الأطفال تخرج من تحت الأرض.. يتصايحون.. وهم ينقرونهما.. بوابل من الحجارة.. يسكن حجر صغير في

رأسه.. فيسيل الدم منه.. دافئاً.. وغزيراً ..علي وجهه ينبح.. يعوي.. يصيح.. يستيقظ.. فزعاً.. مذعورا ..مرتجفاً.. يجد نفسه في وسط الليل والناس من حوله.. تقبل وتدبر.. بلا مبلاه.. يتحسس رأسه.. المشدوخ ..كانت لم تزل في مكانها.. ولم تزل بخير.. لم تتعور.. فحمد الله علي سلامته.. نهض.. وهو ينفض ثيابه.. المعفرة.. لعن، وسب الدنيا.. والناس.. والكلاب.. والفقر.. والجوع.. كور تفةً كبيرةً في فمه.. قذفها بكل قوة.. في وجه الحياة.. تمتم ساخطاً.. " طظ ".. وراح يجر قدميه.. ليطوف في الشوارع من جديد.. يمارس التشرد.. عارضاً نفسه.. عله يجد صدراً رحيماً.. أو قلباً عطوفاً.. ليتخذه أبناً.. أو حتي عبداً.. يخدمه.. و ....

****

قصة قصيرة

زيارة من نوع ما ...

كان يوم شؤم.. بدأ كل شيء غامضاً، غريباً، غير مألوف.. وعلي غير عادته.. حالة هياج شديدة تَلُّف المدينة الهادئة.. وحمّى من نوعٍ ما.. تنتاب الشوارع، والميدان.. وكأن كارثة وشيكة، أو قد حلت.. ضجيج.. صخب.. هرج.. مرج شيء عجيب.. أشبه بالفوضى.. وحركة دائبة، مضطربة، مرتبكة ـ لا تنقطع ـ في قلب المدينة ، وضواحيها ، ....

خيل إليه للحظة، لو أن الأرض كفت عن الدوران ، وتوقفت، ما توقف هذا الارتباك الشديد الغامض الذي ملأ الشوارع ، والميدان .....

الناس في حالة هلع شديد.. تهرول.. تتلفت.. تتعثر.. تسرع.. تجري.. تختبئ.. تطل برأسها من كل مكان.. العربات تغير وجهتها قصراً.. وإلا سيتحمل أصحابها وخائم التبعات والنتائج المترتبة على ذلك ....

الشرفات مُلأت علي أخرها.. في انتظار هذا القادم.. واللافتات العريضة، مكتوب عليها كل عبارات الترحيب ، والصور، لصقت بطول الحائط، وعلقت بعرض الشوارع ، وفي كل مكان.. بنات المدارس بزيهم الأزرق يملأن الشوارع.. وقلب الميدان، وهنّ يتأبطنّ حقائبهنّ المدرسية ذات

المناظر الطبيعية الخلابة، والنجوم والشخصيات البارزة ، يتمايلن، يتسللن، ويمشين علي مهلٍ.. وكأن الأمر لا يهمهن، ولا يعنيهن في شيء، يتهامسن، غير عابئات بالتحذيرات والتهديدات، يرموهن بنظرات اللامبالاة.. ثم يضحكنّ.. ويمضين في طريقهن.. والشمس بدت.. وكأنها تسترد عافيتها.........

يقف خائفاً.. يترقب.. ينظر هنا وهناك.. وينتظر.. لأن الأمر بالنسبة له جد خطير.. يُهمه.. ويفزعه.. قدوم هذا الكائن.. العجيب الغريب، الذي طالما سمع عنه الكثير، والكثير ....

" حتماً سيأتي بعد قليل.. ليقلب المدينة رأساً علي عقب.. مُقطّب الجبين.. زاماً بين حاجبيه لا يعجبه شيء.. يحدق في كل اتجاه كصقرٍ جارح " .... ، يدنو من بضاعته ، في قلق داخلّي ، مذعوراً ، متحفزاً ، يخاف أن يظهر، فجأة أمامه.. ينزل من السماء.. او يخرج من تحت الأرض.. أو من وسط الزحام.. فيركله ، أو يرفُثه ، أو يؤذيه ، أو يحرقه بنظراته السامة.. يلوح بعيداً بعينيه.. متحيزاً إلى سور المنتزه الحديدي متحفزاً.. ومستعداً لكل التوقعات.. راجعَ مع نفسه بعض الأمور، وما سيفعله ، إذا ما بدا يتجلى، أو يظهر ذلك القادم الغريب، ....

أطرق برهة يفكر ، هنيهة ، يدير في جمجمته.. سيناريو صغير.. رسمه في ذهنه سيقوم بأدائه، عندما يأتي هذا المنتظر ....

المعنيون بالأمر تجمعوا حوله.. محذرين.. ومنذرين.. أخبروه بكل شيء.. بصراحة ، ووضوح ، ثم فطّموه بما يجب أن يفعله ، وما يقوم به ، إذا جاء من هم في انتظاره.. ثم انصرفوا غير بعيد .....

تمتم ساخطاً ، لعن أبوه ، وأمه ، واليوم الذي جاء فيه إلى الدنيا ...

" موقف صعب، والمهمة ثقيلة علي النفس " هكذا كان يخاطب نفسه.. رمقهم في غيظ.. وغضب.. والشرر يتطاير من بؤبؤ عينيه، وهم مازالوا منهمكين في إفراغ الشوارع من كل شيء يعيق حركة المرور.. يوسعون الطريق ينظفونها من القمامة.. ويبعدوا المارة عن المكان.. فهم يخافون أن تقع عينه علي عيب.. أو شيء قبيح.. فلا يروقه، ولا يعجبه منظره، فتكون الطامة الكبرى، والمصيبة العظمى، وقاصمة الظهر، ومهلكتهم جميعاً، فيظعنون الناس غير أبهين علي شيء.. أو باقين علي من يعرفونهم ..

عض يده من الغيظ.. مصمص شفتيه في حنقٍ وحرقة ، وقرف.. ضرب يده علي فخذه.. كور ريقه الناشف في فمه.. بصق علي الأرض ، وعليهم، وعلي كل ما يدور حوله.. وعلى الدنيا كلها ....

لافتات معلقة هنا وهناك.. منتزهات نظيفة مزينه.. شوارع مكنوسة، وأرض مرشوشة بالعربات الصغير، البيضاء.. وأصحاب المحلات الذين قاموا تطوعاً برش الماء.. بالخراطيم ليسكنوا الغبار، والتراب.. والمارة يتحاشون كل ذلك.. ويمضوا مسرعين.. إلى حال سبيلهم ......

انتصف النهار.. واشتدت الشمس وقوي ساعدها.. وكثر الزحام وبلغ ذروته.. بعضاً من المعنيين بالأمر.. يقفون على مفارق الطرق.. يشيروا بأيديهم.. لتنظيم حركة المرور المزدحمة، بعربات "الكارو" والحنطور" والمكرو باظ "..وعربات اليد.. والناس اللاهثة العابثةُ، المُكشّرة عن أنيابها.. بحواجب مدّلاة.. وشوارب طويلة.. تزغر بعينيها.. وتمرق مسرعة....

يسمع بعض المارة.. يسب ويلعن الذي كان السبب في قطع العيش ، والأرزاق.. فيؤمن على كلامه.. تقف فجأة سيارة سمراء.. يشعر بقلبه يدق.. قلبه يقع في صدره.. حين رآها ترمي ببعض نفر.. مدججين بالسلاح.. يجروا في انتشار ، خاطف ، وسريع في كل اتجاه.. انزووا ، غاصوا.. اختفوا في وسط الزحام... بلع ريقه الناشف في حلقه ، بصعوبة.. جفّف عَرَقه الخارط، المتساقط على جبينه.. وصدغيه، انحنى قليلاً.. غطّي شيئاً كان يبتاعه بحث في جيبه عن سيجارة وعلبة "الكبريت" أحس كدبيب النمل يسري في جسده.. والتعب يضرب برجليه ويعصف بعقله..جلس القرفصاء في حذر شديد.. ضائقُ صدره.. وهو ينظر في ترقب ، وحذر ......

ويمر الوقت بطيئاً جداً ، كسلحفاة عجوز عمياء عرجاء.. وكان الباعة الجائلون ، منزوون بجواره.. يبيعون خلسة للناس.. وكأن الأمر بالنسبة لهم لعبة مضحكة.. بينما يراها هو سخيفة.. أو خديعة من المعنيين بالأمر حتى لا يجلسوا في الشارع.. لبيعوا مثل كل يوم .....

بينما هو كان جالساً القرفصاء.. عيناه تدور في محاجرها.. يدير في رأسه كل شيء.. منحنياً في حذر على إنائه، وكل الاحتمالات الممكنة، والغير ممكنة ، والسيناريوهات التي سيقوم بها مطروحة في رأسه.. متحفزاً، ومنتظراً.. قدوم هذا لأتي .... ؟؟؟!!!....

****

قصة قصيرة

لقاء ...

ـ الدور الثالث.. علي يدك الشمال .

ــ ....

تخيلت منظره.. وارتباكه.. لما يراني.. والاندهاش يملأ وجهه.. دقائق معدودة.. وأقف أمامه ــ لأول مرة ــ وجهاً لوجه.. شعور بالخوف يغزوني ..ورعشة خفيفة سرت في جسدي المتهالك.. فالمهمة شاقة.. وثقيلة.. تنوء بها الجبال.. تمالكت أعصابي المطربة.. زرعت ابتسامة بيضاء بين طرقات وجهي.. المترب من وعثاء السفر.. وبعد ما اقنعت نفسي.. بأن الموقف هين.. وابسط مما اتصور أدرت ظهري لأصعد درجات السلم.. وخزتني جملة سخيفة.. مججتها.. وسئمت سماعها

ــ بطاقتك علي الباب لو سمحت ...؟

ــ ....؟!

ذبلت ابتسامتي.. يبست.. وسقطت في الحال.. تجاوزت المدخل.. حاولت أن ازرع ابتسامة آخر غيرها.. ففشلت.. شد انتباهي كائن غريب قابع هنالك.. استوقفني قليلاً.. حرك فضولي.. فأخذت أتأمله في اندهاش.. (أحد

العاملين بالمبني.. لما لاحظ فضولي واهتمامي أبتسم.. وأخبرني بأنها نافورة مياه) ..

ابتسمت له.. وخجلت من نفسي.. وواصلت الصعود لأعلي.. كانت قدماي من شدة لهفتي للقاء.. تلتهم ثلاث أو اربع درجات في خطوة واحدة.. حضرتني صورته التي طالما رسمتها له في مخيلتي .." شاب وسيم.. حصيف.. يشع ذكاءً وفطنة.. يجلس علي كرسي ، هزاز يدور ..في مكتب فخم ، ضخم.. مطرزة حيطانه باللوحات.. والتحف.. وشهادته الورقية الكثيفة والنجف الكريستال.. يتدلى من السقف.. والموكيتْ الأخضر ذو الوبر الناعمة المنقوشة وفظات الورد..موزعة في المكان.. بطريقة رائعة.. لا تخلو من ذوق فنان.. مرهف الحس وطابور من الموظفين.. يقفون أمامه.. والتلفونات لا تكف عن الرنين.. والمكيف يعمل علي تلطيف الجو ".. داخلني شعور بالفخر.. والاعتزاز.. والغبطة.. وخلت للحظة بأن هذا الحدث تاريخي.. ووصلت أخيراً.. توقفت في الممر الجانبي أمام البهو المكدس.. بالمكاتب المرصوصة.. شد أذنيّ راسي الطنين المنبعث من الداخل.. ببطء.. قدمت احدي قدمي.. وأخرت.. بضع خطوات واجفة.. وقفت في حذر شديد.. علي الباب.. ورحت اقلب بصري بين المكاتب لعلي اجده.. سألني أحدهم .....

ــ ماذا تريد ...؟

..........!؟

فأشار إليه.. وانصرف.. ووقفت أمامه.. أتأمله.. بابتسامة رقيقة.. صافية.. كان يتصفح الأوراق التي أمامه.. باهتمام بالغ.. وبجواره فتاة حسناء.. جميلة.. محجبة.. تقرأ في "جريدة المساء" في صمت لذيذ.. تطلعت إليه في سكون.. وعندما تنبه لوجودي.. رفع رأسه.. خلع نظارته.. تفرسني.. تفحصني ثم غرس عينيه من جديد ، في الأوراق التي أمامه ثواني معدودة.. مرت علي ثقيلة جداً.. دهمني فيها شعور بالمرارة.. والأسف والحسرة.. تملكني الإحباط.. فكل شيء قد انهار أمامي.. وجاء علي خلاف ما كنت أتوقع.. أو أتصور.. كدت أخرج من عقلي.. أصرخ في وجهه (أنت مكانك ليس هنا).. ولكني أمسكت عن الكلام.. وعدت إلى نفسي.. تنحنحت.. أردت أت أعرفه بنفسي.. تكلمت فخرجت النبرات.. مخنوقة من الغيظ.. وظل يستمع إليّ بابتسامة صافية.. لا يعكر صفوها شيء.. وهو هاش باش في وجهي.. غير مقطب الجبين.. ثم قاطعني.. ورحب بي من جديد.. وكرر.. وأسهب في الترحيب.. وكان كريماً للغاية.. وسأل عن الأصدقاء.. وحالهم.. وعن سير العمل.. وآخر الأعمال.. كل ذلك والابتسامة الجميلة تزين وجهه.. وتتسع لتسع الدنيا.. والعالم.. والناس.. وأنا لم ازد عن كلمة واحدة ..(بخير والحمد لله).. يأتيه رنين الهاتف.. يأخذه مني.. يتحدث.. يضحك.. يداعب قلمه.. بأصبعه الشاهد.. وهو يُحَدِجني بنظرات واسعة.. وأنا من حين لآخر.. اختلس النظرات إلى الفتاة.. ذات البشرة البيضاء.. الناعمة.. الجالسة بجواره..كمليكة.. لعلها تكن قد فرغت.. من تقليب الصفحات.. لتشاركنا

الحديث.. يصمت برهة.. ثم يتكلم بصوت خافت.. وكأنه يحدث نفسه.. يقول شيئاً لم أتبينه.. وأنا مخنوق.. ضائق بما أري.. فلا مكتب ضخم.. ولا كرسي يدور.. رميت بصري علي الأرض.. وأطرقت صامتاً.. أهيئ نفسي للحديث.. وانتظر أن يضع السماعة.. ليلتفت إليّ.. حتي أكلمه في الموضوع.. الذي جئت من أجله ....

****

قصة قصيرة

"ورقة من سفر الحياة "

منذ أيام ليست بالقليلة.. وأنا أعتقل نفسي بنفسي في البيت.. لا اكلم أحد.. ولا أحد يكلمني.. ولا أتصل بأحد.. ولا أحد يتصل بي تركت شعري يطول ... وأظافري ... ولحيتي.. و ... و ... و ......

وانكفأت علي ذاتي.. متقوقعاً في حجرتي الصغيرة.. أرتشف الشاي ، والقهوة بشراهة.. وألتهم السجائر.. بكميات كبيرة.. وبطريقة فظيعة جداً وزهدت في الطعام.. والكلام.. والقراءة.. والكتابة.. والتفكير.. و.. و.. و ...

حتى ساءت حالتي، وسئمت الحياة.. فقد صار كل شيء.. من حولي كئيب وتافه في نظري.. وغير ذي قيمة تُذكر.. فقد كرهت الحياة ، وكل شيء فيها.. حتى نفسي التي بين جنبي، سائمتها.. مللتها.. وكرهتها أيضاً.. والإحباط عشّش بداخلي، وباض ، وأفرخ ، شيئان.. أو قل حقيقتان.. لا ثالث لهما.. سكنا خلايا المخ فصارا يعذباني كثيراً جداً.. يؤلماني.. ويقِضّا مضجعي.. أما الحقيقة الأولى.. إحساسي بالفشل الزريع.. برغم أني قرأت جميع الكتب.. الصفراء، منها، والبيضاء.. وتعلمت في أعرق الجامعات.. حتى حصلت علي

أعلي الشهادات الجامعية.. وفي النهاية ، العائد.. الناتج.. الفائدة.. صفر.. وللأسف الشديد ...!!

عمري ضاع أدراج الرياح.. قرأت، تعلمت، تخرجت، والحصيلة.. لا شيء علي الإطلاق.. وأنا كما أنا.. محلك سر.. أو قل، أجري في مكاني. أو أدور حول نفسي.. كلهم بمعني واحد كالثور الذي يدور في الرحى.. مغمض العينين لا يعي.. ولا يفهم لما يدور.. قدره أن يدور هكذا حتى الموت.. وهو لا يعرف.. ولا يعترض أما الحقيقة الثانية.. كثيراً ما يُخيل ليّ.. وذلك مما يزيد إلى رصيد اعتقادي الجازم بالضياع، والفشل الزريع.. ويضيف إلى شعوري.. إحساس بأنني نكرة في هذا الوجود ـ صفر علي شمال الدنيا ـ أو تحت الدنيا.. أو علي هامش الدنيا.. كلها بمعني.. وبأنني إن لم أكن أتيت إلى هذا الكون.. فلم تكن هناك ثمّ مشكلة، إطلاقا، لذلك.. أجدني أفتعل المشاكل من حين لآخر.. أو هكذا تنعتني أمي العجوز.. فأراني.. أثور.. وأغضب.. لأتفه الأسباب.. أكثر أواني المطبخ، ومحتويات البيت.. وكل شيء يعترض طريقي.. وأضرب بيدي، ورجلي، كالمجنون في الحيطان، والأبواب.. ازعق، أشخت، أأمر، أنهي، وأغضب لأتفه الأسباب، أضرب أولاد أخي الصغار.. وأمي التي ترجع كل ذلك.. للبن الكلاب، والحمير الذي أرضعتني إياه، أختي الكُبرى، وأنا صغير.. فتدعو عليها، وعليّ، بعدد شعر رأسي.. وعلي كل من كان السبب.. أما حريم إخوتي، وبعض نسوةٍ في شارعنا الضيق، الطويل.. أسمعهن وهنّ ينصحنها بأن تذهب بي إلى طبيب نفساني.. ليعالجني.. أما

أخوتي الكبار.. أراهم يلتمسون ليّ الأعذار، ويتغاضون عن عصبيتي،الذائدة عن الحد ويرجعون ذلك لعدم العمل.. ومخي الكبير الذي مُلء ومحشو علماً.. وقالت نسوةٌ اعرفهن، من نساء الجيران، سمعتهن، وهنّ يهمسنّ لأمي، وهن يتغامزنّ ويضحكنّ ...

ــ " عاوز يجوز.. جوزيه وهو يروق علي طول ههه ".. ؟!...

فترد أمي عليهنّ: ...

ــ " هو غير راضي".. فيهمسنّ مرة أخرى لأمي.. بأن تذهب بي ، من أجل أن تشوف ريحتي عند أحد المشايخ.. المكشوف عنهم الحجاب "لتعرف السبب.. فربما تكون عين وأصابتني.. أو معمول ليّ عمل.. أو جنيّة واقفة في طريقي.. وينصحنها بأن تزوجني معللين ذلك بكبر سني.. وعيني التي تراعي علي حد زعمهن ... و.. و.. و...؟!!.. وأنا كنت أسمع ذلك كله وأضحك في هيستيريا، ضحكات مجنونه.. وأريد أن أرد عليهن.. ولكني لم أستطع ، من كريزه الضحك الحاد التي انتابتني فجأة .!

****

قصة قصيرة..

حالة خاصة..

غداً أول يوم في العام الدراسي الجديد.. لم أشعر بالغبطة كالأطفال..
ولم أشاركهم المرح، ولعبة "الإستخباء".. فقط اكتفيت بترتيب ثيابي.. ملأت الشنطة القديمة بكراريسي.. وأقلامي..
أحسست بشعور غريب.. يصحبه ألم في بطني دوماً ينتابني هذا الإحساس الغريب.. في ليلة الامتحانات.. أو عندما أنتظر "هدي" وهي عائدة من المدرسة.. غداً سأراها.. بعد غياب طويل.. خمسة أشهر مرت.. وكأنها دهر.. شعرت بالاختناق، فجأة.. خرجت أمشط الشوارع المزدحمة.. لاحظت عيناي طفلاً.. تكاد السعادة تفسخ صفحات وجهه الأسمر.. دفعني حب الفضول للاقتراب منه.. أسمعه وهو يقول لأبيه.. بصوت ملئ بالنشوة ، والسعادة ...
ــ أنا أريد شنطة مثل أشرف يا بابا ..؟!.
الأب تحمل عيونه الخوف، والقلق.. من الأسعار التي تصرخ من جوف "الفتر ينات".. فالغلاء قد أحرقه حتى النخاع.. يتحسس جيبه وهو يقف أمام كل فترينه، لتلتهم عيونه الأرقام الخيالية المتوحشة.. يمص مص سنين

الماضي بين شفتيه.. ويترحم علي أيام زمان.. الطفل لايدع أبيه يغرق في ركام ذكرياته المتداعية.. يهزّه هزة عنيفة.. وكأنه ينتشله من مستنقع الذكريات البالية.. وهو يشير إلى إحدى " الشُنط " ...

ــ لكنها يا ابني غالية قوي ..؟

يبكي الطفل.. وهو يضرب بقدميه علي الأرض ويطيح بيديه في الهواء في حركة عشوائية.. يَهددهُ الأب بنظراته الحادة.. يجذبه وهو يقرض علي شفتيه.. من الغيظ ، وقلة الحيلة ..

ــ أسكت سنشترمن هناك

وجدتني مشدوداً خلفهما.. لا ادري لماذا ..؟.. ربما تعاطفاً مع الابن الصغير.. وربما لان الأب حالته تشبه حالة أبي.. وربما لأني كنت أريد أن أعرف نهاية القصة ..؟.. وربما شيئاً آخر لا أدرية ..؟..

ــ " ماتفتح يا أعمى.. ماشي وأنت نائم " ..

تنبهت.. نظرت إلى سائق "التاكسي".. في هدوء ، بادرته بابتسامة باهته ...

ــ ولا يهمك ..

ــ كيف ..؟!.. ولما تجيب لنا مصيبة ..؟!..

واصلت ابتسامتي.. وأنا أتجاوز الشارع الطويل، المزدحم كيوم الحشر.. فغداً أول يوم في العام الدراسي.. والكل في الخارج، لشراء المستلزمات الدراسية.. صعدت علي الرصيف وتغوص العربة وسط الزحام.. يتحوقل الناس ويرمونني بنظرات اللامبالاة.. تذكرت ذاك الرجل.. الذي يبحث عن شنطة

لأبنه الصغير.. كان مرابطاً.. أمام إحدى الشركات..التي أعلنت عن " الاوكازيون الصيفي الكبير" أقترب منهما علي مهل.. اسمعهما ....

يبتسم الأب وهو يقول لأبنه :

ــ ما رأيك في هذه ...؟

ــ لا ، أنا أريد الثانية يا بابا ..؟!!..

ــ ياولدي الفلوس قليلة.. وإخوتك البنات ، لم أشتري لهنّ أي حاجة حتى الآن ..؟!

بدأ الطفل وكأنه يتفهم ما يعنيه أبيه.. علت وجهه مسحة من الشفقة.. وكأن الأب خدر مشاعره الصغيرة.. فقلب فرحته إلى شعور بالمرارة.. ظِلْلتُ.. أرقبهما من خلف الزجاج عن كثب.. برهة خرج الأب بعد حين.. تعلو شفتيه ابتسامة عريضة.. وكأنه يُعلن انتصاره علي الغلاء المتوحش.. أسمعه وهو يقول لابنه.. وهو يقلب في الشنطة الزرقاء :

ــ ما رأيتك ..؟

ــ لكن ليس بها إلا جيب واحد ..؟

ــ ....

وظلت واقفاُ مكاني.. حتى غابا عن بصري.. وسط الزحام.. نظرت في ساعة معصمي.. كانت الساعة العاشرة مساءً.. والشوارع ما انفكت تموج بالناس.. والصخب ينبعث من كل مكان.. اللافتات بألوانها الزاهية تشد الانتباه.. قرأت اغلبها.. وأحفظ الكثير منها عن ظهر قلب ولكني لا اعرف شيئاً عن

أصحابها.. البيت يتراءى ليّ ، من بعيد.. غرفتي أحسها أحياناً صحراء قاحلة.. وأحياناً أراها ضيقة.. وأحياناً أشعر فيها بالسعادة.. وأحياناً أخرى أبكي فيها ، دون أن يراني أحد.. وأحياناً .... وأحياناً .... ولكنها دوماً تشعرني ، بأني أملك شيئاً ما.. لا ينازعنيفيه أحد.. غير أن أصوات الصبية وهم يلعبون في الشارع ، خلف الشباك بالكرة.. يقلقني.. يستفزني.. يثير حافظتي يشتت أفكاري.. التي احاول ان اجمعها.. لأتم قصتي التي لم تكتمل بعد.. فأراني أطاردهم ، وأنا أكيل لهم ، ولآبائهم.. الشتائم.. والسباب الليل فقط هو الوحيد الذي يخلصني منهم جميعاً وغداً أيضاً.. سأكون سعيداً جداً.. لأنه أول يوم في العام الدراسي ......

****

قصة قصيرة..

"وآه رأساه"

" آل رباع " صار" آل مناع ".. لا يهم.. المهم من يجلس ليستمع.. ويتعظ.. ولا يطير ولا يفر.. ولا يقول : ..

ــ " خلصنا يا عم الشيخ.. وراء مصالح "

ستة اشهر ، وأنا فيهم.. أخطب.. وأتكلم.. وأقول " قال الله.. وقال الرسول ".. فَرَّغتُ نفسي تماماً من أجلهم ،أذهب إليهم كل يوم.. في الشتاءِ والصيف..لا أبالي ببرد.. ولا مطر ولا حر ، ولا قر ..المهم أصل إليهم.. وهم يستمعون ، ليتعظوا.. حتى بح صوتي .....

نصحوني أصدقائي كثيراً..ألا أثقل عليهم.. بإتيانهم كل يوم.. حتى لا أُمَلْ ، وأَمَلْ ولكني لم أهتم ، فرموني بالجنون، وانفضوا من حولي فاستعذت بالله من الشيطان الرجيم ، ومنهم.. ثم استعنت بالله ، وذهبت إليهم مع زميلي الذي صحبني ليريني الطريق.. وما أن دخلت العربة

علي مشارف القرية.. حتى انفلت عقلي من عقاله وسرح في خياله الواسع.. وأحلامه الوردية.. تخيلت المكان.. ووجوه الناس الذين هم في انتظاري.. وجوه

ناضرةٌ، مسفرةٌ، مستبشرة.. مشرئبّين، بقلوبٍ يقتلها الظمأ.. وهي متعطشة لحديثي المرتقب.. فوددت أن اسبق العربية إليهم ...

"قطعاً سيحبونني كثيراً جداً ، وأنا كذلك ، وسأقيم بينهم، وسأتزوج منهم ، وسأبدأ معهم حياة جديدة.. وستصبح هذه بلدي الثانية.. وسيكونون أهلي ، وعشيرتي، وناسي.. وسأجعل كبيرهم أبي.. وصغيرهم أخي.. وأكن كواحد منهم.. أفرح لفرحهم.. وأحزن لحزنهم وسأجعلهم يحلفون بحياتي ..."......

ــ وصلنا المدخل يا عم الشيخ ..؟!

شكرته ونزلت مع زميلي.. الأرض الزراعية تحيطنا من كل جانب، سحبت، قدماي التي تكاد لا تلامس الارض من شدة الفرحة، مشيت مهرولاً.. الإسفلت بمحاذاة الترعة الصغيرة، المليئة بالمياه الضحلة.. أتطلع إلى السحاب ، وهو يسبقني.. والطير من فوقي يصدح، وقد ملأ وجه السماء .... الخَضار يحيطنا من كل جانب.. والمنازل الريفية، وقد وزعت بطريقةٍ ساحرةٍ.. والناس بملابسهم البسيطة يمضون.. كلٌ إلي وجهته ، وهم لا يلون على شيء، كقطعة من الطبيعة الخلابة.. حمير تنهق، مواشي تصدر خواراً متقطعاً ، والكلاب تنبح عليّ.. والأشجار الصنوبرية مسطرةُ علي الطريق، وكأنها تميمة فرعونية رائعة.. والنخيل المبعثر بيد الطبيعة، وسط الحقول يتراقص بمرأى عجب، يتمايل مع الريح.. وجزلاً كنت أسير.. وخلتُ للحظة وكأن اليوم بالنسبة لي يوم عيد.. وكأن البلد قد أعَدت نفسها لاستقبالي.. في حفلٍ رائ مهيب ، وجميل .."بنزيمة للعربات" أول شيء يصادفك علي

الطريق.. وفي الجبهة المقابلة من اليمين.. " مستودع عاز ".. بمحاذاته .." مدرسة ثانوية مشتركة ".. ثم مدرسة أخرى.. ثم نقطة شرطة.. وبعض المنازل الصغيرة.. كسرت يميناً في حارة ضيقة ليس فيها غير بيت ، أو بيتان، أخرهما " وبور المياه " ثم قهوة صغيرة بحجم الغرفة الواحدة.. وبعدها بخطوات قليلة.. استقبلنا جامع متواضع.. وكنت أسير مع زميلي في صمت.. ربما قطعه سؤالاً مني.. أو بضع كلمات منه، في موضوع ما.. لا نتعدى كلمات قلائل.. ثم نعود إلى الصمت من جديد.. ويعود عقلي إلى خياله.. وما كنت أفكر فيه ....

وأخيراً وصلنا إلى المكان.. كان المكان مغلق.. لا أحد فيه.. لا يوجد أحد.. اللهُمَّ إلا ثلاثة " دِكَكَ ".. جلسنا علي واحدة منها، تسامرنا بعض الوقت.. أخد يقص عليَّ قصته.. وهو يحكي لي عن أهل هذه القرية.. وعن المكان الذي سأعمل فيه حتى دخل علينا الظهر.. فعرض عليّ ان نصلي في الجامع الكبير.. أومأت له بالموافقة.. وأنا أحاول جاهداً أن أخرج له ابتسامة بسيطة.. ونحن في الطريق . أخذ يبين لي مداخل القرية.. ومعالمها.. ويقول لي.. وهو يشير بيده ...

ـــ هذه الوحدة الصحية.. وهذا هو السنترال والبوسطة.. والوحدة البيطرية.. ونقطة الشرطة.. والنادي.. والمعهد الأزهري الجديد الذي قام بالجهود الذاتية.. علي مساحة كبيرة من الأرض ... " ؟؟!!...

وكنت أستمع إليه.. وأنا في دنيا ثانية، وعالم آخر جميل... ألقيت نظرة سريعة علي المكان.. عندما عدنا من نفس الطريق.. ورجعت.. أحدث كل من يقابلني من الأصدقاء ، ببهجةٍ ، وسعادةٍ.. عن مكاني الجديد عند " آل رباع" غداً سأقف فيهم خطيباً مفوَّهاً..والكل سيجلس ليسمعني ، وأنا واقف فيهم أعظهم وأذكرّهم ، وأعرفهم كل شيء ، وسأدعهم يسألون عن كل شيء ، وعن أي شيء يخطر في بباهم.. وأنا أجيب و لا، ولم ، ولن أمل حتى يملوا.. وحتى إن ملوا.. سأروّح عنهم ببعض القصص.. والحكايات الطريفة.. وإن انصرفوا عني.. سأجلس في مكاني.. أحدث من حضر.. وأقول

ـ قال الله.. قال رسوله ..

المهم أؤدي واجبي علي أكمل وجه.. وكما ينبغي.. فأنا معي رسالة.. وأريد أن أوصلها للناس، أي ناس ، فليكونوا .." آل ربّاع ".. أو" آل منّاع "..أو غيرهم، لا يهم.. المهم من يجلس ليستمع.. حتى تصل الرسالة.. وليكون ما يكون وقد كان ما كان.. وتوالت الأيام، والأحداث.. أذهب إليهم كل يوم ..فأجد المكان مغلق.. ولا أحد هناك ، كالعادة.. اللّهُمَّ إلا نفر يسير.. والأطفال من حولهم يحفظون القران في الألواح ..{ نسيت أن أذكر بأن في هذا المكان " كُتّابْ} وهذا مما زاد من دواعي سروري.. وزاد من مجهودي أيضاً.. فقد خصصت يومين في الأسبوع للأطفال فقط.. ومن أراد أن يستمع من الكبار.. فلن أبخل عليه بالسماع وفرح الأطفال، وفرحت أنا أيضاً.. وهلّلوا، وصفقوا ، وهاصوا، وراحوا يتزايدون، ويكثرون يوماً بعد يوم.. وبالتالي

زدت أنا من مضاعفة مجهودي ، حتى قلت لهم يوماً :.. ــ هل من مزيد ــ فعلقوا ، وسخروا ، وضحكوا ، وضحكت أنا لضحكهم.. وهكذا ... حتى أصبحت حديث القرية.. وخاصة بعدما هداني الله ، لفكرة طيبة ، ألا وهي ." أعددت لهم مسابقة.. وسألتهم فيما قلت لهم، وسمعوه مني.. فاستجابوا لذلك.. ونجح الجميع.. بتفوق ، واقتدار.. وفرحوا بذلك .."...

فأنا معي رسالة.. أريد أن أبلغها للناس.. أيّ ناس.. ليس مهم أن يكونوا .... " آل ربّاع ".. أو" آل منّاع ".. أو غيرهم ، لا يهم ..المهم أن تصل إليهم.. ولن أمل حتى يملوا، وإن ملوا ، ولن أسكت عن الكلام.. وإن انفضّوا من حولي.. وانصرفوا.. حتى ولو تكلموا عني ورموني ، بالهوس ، أو الجنون.. فليقولوا ما يقولوا.. فهذه مهمتي.. وهذا طريقي الذي اخترته.. قدري أن أسير فيه.. ولن أحيد عنه قيد أُنملة ، وحتى أخرج من أثم كتمان العلم.. ولا أكتم سراً.. لو قلت أنهم ، أقسموا لي بالله العظيم، يميناً مغلظاً بكسر الهاء.. بأنهم قد فرحوا بي ، أيما فرح منذ جئت إليهم.. وكأني مدد من السماء جاء إليهم حتى يعرفوا أمور دينهم.. حتى قالوا لي :.. بالحرف الواحد ...

ــ " والله تعلمنا من الشيخ.. كثيراً من يوم أن جاء إلينا . " !!!

وكنت كلما ضايقني أمر ما.. كعدم النظافة مثلاً أو اشتكيت من هروب العمال.. وبأني لم أراهم وغضبت.. وأردت أن أجس النبض.. بقولي

ــ " سأطلب نقلي من هذا المكان .."؟!!.

التفوا حولي.. يهدّئوني.. وهم يمتدحوني.. ويثنوا عليَّ خيراً.. ويطروني.. ويعدوني بأن يلبوا لي كل ما أريد.. فأشكرهم ، وأشرع في الدرس..

وتوالت الأيام.. والأحداث.. وأصدقائي يتغامزون من ورائي .. وينصحوني بعدم الذهاب يومياً.. حتى لا أَمل ، أو أُمل ، فأخرج لهم لساني.. وأدعهم ، وأنصرف ، مهرولاً إليهم ، حتى ألحق المواصلات.. قائلاً لهم..

ــ " الناس في انتظاري هناك.. " ...

ستة أشهر، مائة وثمانون يوماً بالتمام ، والكمال.. أذهب إليهم.. فأجد المكان مغلق.. أفتحه ، أجلس ، أنتظر من يأتي منهم ، ليستمع

في الأمس القريب قابلني صديقٍ قديم.. أخبرني بأني قد تم نقلي ..إلى مكان آخر.. في البداية.. ظننته يهزأ بي.. ويضحك عليّ ... لكنّ كلامه كان صدقاً.. علمت ذلك من الموجِّه فسألته بعصبية ، وبجنون : ... ـ

ــ " ماذا فعلت.. ولماذا .."..؟!..

فقال لي..

ــ " لأن النفوس قد بدأت تشحن منك "..

فاسترجعت كل ما كان.. ثم تحوقلت.. وقلت بصوتٍ عالٍ ، بعدما ضربت كفاً بكف ..

ــ إنهم أحبوني كثيراً .!.. وأقسموا لي علي ذلك .!.. وأخذوا عليّ.. وأخذت عليهم ستة أشهر وأنا معهم.. فلماذا.. " ؟؟ !!..

فضغط علي يدي ، ونصحني ، بأن أغير المكان وراح يشكر لي في مكاني الجديد.. ثم همس في أذني ...

ــ " لا تذهب إليهم كل يوم.. يكفي يوماً أو يومان في الأسبوع . " !..

ووعدني بأنه إن مر هناك.. فلن يأخذني غياب فشكرت له ذلك.. وأنا أمسح دموعي.. حتى لا تقع علي الأرض.. وسألته عن الخطاب الذي سأتوجه به إلى هناك... فقال مع الشيخ " عشري ".. فلم أنتظر... تأبطت كتابي.. وركبت العربة وذهبت إلي هناك.. ألقيت نظرة وداع أخيرة، طويلة، علي مكاني الأول سلمت علي كل من فيه.. كانوا ثلاثة نفرٍ فقط.. جالسين على " الدكة " وحولهم الأطفال قال أحدهم وهو يبتسم ابتسامة خفيفة ...

ــ روح هات المفتاح يا ولد لعمك الشيخ..

ــ لا ما في داعي.. أنا خلاص أتنقلت من هنا

قلت له ذلك. وعيني ترقُبه.. لأري وقع الخبر عليه.. وهو من واظب علي سماع الدروس.. لم يكترث ..أو يتحرك له ساكن.. واستمر في كتابة اللوح الذي في يده لأحد الصبيان الجالسين أمامه.. " الم نشرح لك صدرك.. " فقط قال :..

ــ " ماشي يا عم الشيخ .."..

قمت لأنصرف ، بعدما ودعتهم، وعند الباب وقبل أن أتجاوزه ، وجدت أحد العمال الذين لم أراهم إلا مرة ، أو مرتين علي ألأكثر ، طيلة ستة أشهر ، كان مبتسماً ، ابتسامة بلهاء مستفزة ، فطلبت منه بأن يصحبني حتى يدلني علي

المكان الجديد وعندما وصلت إليه.. وجدته مغلق هو الآخر..أتوا لي بالمفتاح فتحته دخلت.. توضأت ، صليت ركعتين " تحية المسجد ".. ثم جلست أنتظر أحداً يأتي حتى أتكلم معه.. أسمعه ، يسمعني.. لا يهم.. المهم ..أن يجلس معي.. ولا يطير في الدنيا.. ولا يفرّ.. أو يتقلقل.. أو يتأفف.. وهو يقول :

ــ " خلصنا يا عم الشيخ " ورانا مصالح "

وسآتي إليهم كل يوم ... في الشتاء ، والصيف ولن أتأخر عنهم.. ولا أبالي.. بحرٍ ، أو قر، ما داموا يسمعوني.. ولن أمل ، وإن ملوا ....

نظرت في ساعة يدي، كانت تشير إلى الثالثة عصراً ، دخل رجلٌ وقور، ومن خلفه خمسة نفر.. تعرفت عليهم.. ثم فتحت الكتاب لألقي عليهم الدرس.. ربع ساعة.. ما زدت عنها.. قيد أنمله.. إلا ووجدتهم قد أقاموا الصلاة.. وهم يهمهمون.. بكلمات غير مفهومة.. صليت بهم العصر.. ثم جلست.. وقد غلبتني دموعي.. فبكيت.. فجلسوا حولي.. يسألوني عن السر.. فلما علموا سر بكائي.. جلسوا.. يواسوني.. وهم يعدوني بأنهم.. سيستمعون ليّ ليل نهار.. وبأن الله قد أكرمهم بيّ.. وبأن.. وبأن .." وعسى أن تكرهوا.. وعسى أن تحبوا ..".. و.. و...

ثم بعد ذلك ، تركوني ، وانصرفوا.. وجلست وحيداً.. حزيناً.. يداي علي رأسي.. متأوهاً.. ووآآآه ... رأسااه ...

قصة قصيرة

المراهقة

ذات غروب.. والشمس كانت تفرش ملاءتها البرتقالية في الغرفة.. وبينما أنا وصديقي في وضع استرخاء.. علي الحصير.. رأيت صاحبة النظرات المتلصصة علينا.. منذ وصلت إلى الغرفة.. فتاة في ربيع العمر.. لا تتجاوز العشرين من عمرها.. لكن جسدها ينم عن أنوثة طاغية.. ووجهها مخملي.. قفزت مسرعاً لأغلق الشرفة.. فرمقتني بنظرة حادة جريئة قاتلة.. بينما صديقي أومأ براسه.. وعلي شفتيه ابتسامة خبيثة.. دهشت لما يصنع.. لكني لم احاول ان أعرف منه أي تفاصيل.. ورفضت أن أرهق ذهني في جدل عقيم.. لا يجدي.. أو أغوص في تفاصيل.. أو تحليل واستنتاجات سقيمة.. واكتفيت بما حدث.. اندمجت مع كتبي المهملة.. بعد أن أقنعت نفسي.. بأن الموقف عادي جداً.. وبسيط.. وظلت أذاكر.. حتى شعرت بالإرهاق والنُعاس راح يتسرب خلسة إلى عيوني.. التي لم تذق طعم النوم ، منذ ثلاثة ايام.. رميت بالمذاكرة فوق المنضدة.. فردت جسدي علي الأرض.. ورحت أشعر بحواسي وهي تتساقط مني.. علي طريقة : واحدة تلو الأخرى.. نظرت إلى صديقي كان يغط في سبات عميق.. والمصباح تهزه نسمة هواء طرية.. تخدر المشاعر.. رميت نظرة أخيرة علي النافذة.. حتي أتأكد أنها مؤصدة.. والنوم يأخذ

طريقه إلى جفوني.. دقت الساعة الثالثة صباحاً.. استيقظ صديقي من نومه.. فحصني بعينيه في صمت.. ليتأكد أني قد نمت.. تسحب علي أطراف أنامله.. فتح الشرفة ببطء.. حتي لا يصدر صوتا.. طرق علي الجدار ثلاثة.. برهة ويغزو الغرفة، ضوء شديد.. المحه يحرك يديه يشير.. يهز رأسه.. يتحدث بصوت خافت جداً هببت من نومي.. بسرعة الضوء، وقفت، لجواره.. فأصبت بالذهول.. لما رأيتها واقفة وقد تخففت من ثيابها.. "كانت واقفة بقميص النوم الأسمر.. تعبث بجسدها.. بطريقة مثيرة " فما إن رأتني.. ارتجفت.. ارتعدت.. ورجعت للوراء قليلاً.. أمْسكتْ ضلف النافذة الزجاجية.. فتنبه صديقي لوجودي.. طلب منها ــ بإلحاح شديد ــ أن تبقي.. ولا تنزعج.. أو تخاف.. وجودي.. وأخبرها: بأني صديق عمره.. فأطاحت بيديها في الهواء.. بطريقة لولبية جميلة.. وتأففت.. وهي ترمي رأسها يميناً ، وشمالاً.. وحين تضجرت ألح علي صديقي.. أن أتركهما وأنصرف.. إلى النوم.. أو المذاكرة.. أو إلى الجحيم.. رجوني كثيراً فرفضت.. أمسكت فمها بيدها.. حتي لا تخرج منها الضحكات عالية.. فتوعدتها.. " أن لم تنصرف ــ في هدوء ــ فسأخبر أبيها بما حدث وألا سيكون لي معها شأن آخر.. "مالت.. اعتدلت ..تأوهت.. تأففت.. ضربت يدها في خصرها.. نفخت.. وهي تدفع ضلف الشرفة.. في وجهي بقرف... أما صديقي ..: فأخذ يكلمني في صدري، بقرف ..

ــ إيه اللي انت عملته ده ...؟!.

ثم عاد كل منا إلى فراشه.. ساعة من الزمن.. فتحت النافذة من جديد.. فتعامد ضوء المصباح علي وجه صديقي.. ينتبه.. يجلس في شرود ذهني ..وكأنه يفكر في أمرٍ ما، ينهض بطريقة هستيرية.. وهو ينظر إليّ في تحدٍ.. وإصرار يلهث كالكلب.. وانا جالس في صمت.. أشعل السيجارة الأخيرة في العلبة.. التي طبقتها بين أصابعي.. وكورتها بيدي.. من شدة الغيظ.. ضربت بها خلفه.. .. وأنا أجز علي انيابي.. وأفرك يداي.. غير مصدق ..... ما أري.......

****

قصة قصيرة..

فتاة الاستعلامات

عهدي بها وهي تعمل بالسكة الحديد وديعة.. طيبة ، رقيقة ، مهذبة ، هادئة الوجه ، بيضاء عسلية العينين، ملفوفة القوام ، وكأن عظامها من خيزران، ناعمة الصوت ، والملمس ، حلوة الطبع ، حسنة الخَلق ، والخُلق.. أتذكر وأنا طفل صغير.. كانت تلعب معي.. تجري خلفي.. وما أن تلحق بي حتى تضمني بين ذراعيها العاج.. إلى صدرها المرمر ثم تعبئ جيبي بالحلوى.. وحين تغفل عني.. أقبلها ، وأجري ، فتجري خلفي، وهي تضحك، تمسكني، تضمني مرة أخرى.. وكانت تدغدغ مشاعري الصغيرة.. بين يديها الحاسرة.. فيهتز قلبي طرباً.. وأفرح .....

أذهلتها المفاجأة ، واتسعت عيناها دهشة ، لحظة أن رأتني، واقفاً أمامها وقد كبرت، وصرت طالباً جامعياً، حدقت في ذهول، صوبت النظر إليّ، وصعدت، وعيناها مرتجفة، وعلي وجهها شيء غريب.. يشبه صمت المقابر.. ومِسحة "ميكياج" خفيفة.. ترمم وجنتيها.. لكي تصلح ما أفسده الدهر، حينها ابتسمت ، فتفتحت كل الورود الذابلة، علي وجهها المخملي واختفت بصمات الزمن، حتى كادت تتلاشى تماماً، اشتكت لي، وبكت، بصوت

حزين ، وروت لي ما كان من قرانها ، وكيف باء بالفشل، وأيضاً عن الذين يحاولون الاقتراب منها ، طمعاً في أنوثتها ، وكيف كانت تنفر وتفر في وجوههم جميعاً ، ومن يحاول أن يدنو منها ، أو يقترب، أو حتى من تحدثه نفسه بأن يستخف ظله ، ودمه ، تلقنه درساً في الأخلاق ، لم ولن ينساه ، وتجعل منه عبرة ، لمن يعتبر ....

وظلت تحكي، وتحكي.. وراح شيء ما يتسلل بداخلي، يشدني نحوها، ويجذبني بقوة هائلة، خفية، لست أدري ما هي.. ربما يكون حنيناً للذكريات.. وأيام الصبا.. ذلك الماضي الجميل أو ربما يكون تعاطفاً معها.. أو حباً.. أو شيئاً آخر لا أدري بالضبط ما هو ..؟! ......

وقفت أفكر.. وأنا أستمع لصوتها الموسيقي، العذب الجميل.. وأنا مشدوهاً.. منجذباً لها بطريقة غير عادية.. وسألت نفسي..؟.. أي سر فيها ..؟.. يجذبني إليها هكذا..؟!!.. نعم أنا أعرفها جيداً.. لكن كل هذا ليس مبرراً ، لسر اهتمامي بها، المتزايد لها.. يوما عن يوم ..؟!! ....

مسكينة.. دائماً كانت تحلم.. ببيتٍ صغير.. وأطفال تهب لهم حياتها.. في كنف زوج يقيها غوائل الدهر.. لكن الحياة ضنت عليها.. حرمتها من أبسط حقوقها.. والدنيا لم تبتسم لها في يوم من الأيام.. حتى تسعد بما تبقى من عمرها.. الذي أنفقت منه الكثير.. في انتظار العدل ... ابتسمت لها.. فأمسكت عن الكلام.. وأطرقت تفكر.. ثم هزت رأسها.. غير مصدقة ما تري.. وراحت تهزني من بين كتفي.. حتى تتأكد أني حقيقة، واقفة أمامها...

ــ معقول ..؟!!.. أنت ..؟!!! ....

أمسكت يدها الناعمة ، حنوت عليها.. فأنا الوحيد الذي يستطيع أن يفعل ذلك.. ويكلمها ، ببساطة ، وبدون تكلف.. وكنت أحجز لها في القطار بجواري.. وربما في بعض الأحيان.. أمسكها من يدها العاج ، البضة ، أمام الناس.. وأناديها باسمها مجرداً.. فتضحك كالربيع حين يقبل.. وهي مقبلة كالنسيم.. وتقول : ..

ــ أنت أتجننت ..؟!.. تناديني باسمي.. هكذا أمام الناس ..؟!! ...

فأجذبها من يدها.. لتجلس بجواري.. نتبادل قطائف الحديث.. وقلبي لا أستطيع أن أتحكم في ضرباته المتلاحقة.. وأحس بأن رأسي اصطدمت بالسحاب ....

وفي أيام كثيرة.. عندما كنت أعود من الكلية.. أجيئها.. أقف ، أمامها في صمت.. وأظل أنظر إليها.. من النافذة الزجاجية.. متكأً علي الحائط الرخامي.. محتضناً أجندتي السمراء بين ذراعيَّ ..أتفرسها ، وهي لا تشعر بوجودي وحين تنتبه للمفاجأة.. تصيح كالطفل.. فيتلألأ وجهها كالبدر.. وهي تسألني.. في ارتباك لذيذ : ..؟ ...

ــ لماذا جئت ..؟!.. ومن أين أتيت .؟!.. ومذ متى أنت ..؟!!..

وحبل من الأسئلة ..؟؟!!.. الذي أقطعه بسؤالي المعتاد ..؟.. عن القطار الذي سيقلنا ..؟..

تهز رأسها مغتبطة.. تطرق هنيهة تفكر.. تخبط بالقلم فوق دفاترها ، التي علي المكتب.. ترفع رأسها ببطء.. فتلتقي العيون الحائرة.. ألتهم ملامحها ذات العذوبة.. فأذوب شوقاً . وتوقاً.. تهرب عيناها سريعاً ، في وجل ، فأومئ برأسي لها.. مبتسماً وأنصرف ...

أجلس علي الرصيف المزدحم.. كيوم الحشر بالركاب.. أسمعها في المذياع.. تعلن عن القطارات المتأخرة، والتي في ميعادها.. يجيء القطار.. أقفز في جوفه.. قبل أن يقف علي الرصيف.. أجلس بجوار النافذة.. أرقبها من بعيد.. وهي قادمة.. تبحث عني.. وتتلفت ذات اليمين، وذات الشمال.. أناديها، فتنتبه تأتي إليّ مسرعة.. وهي ضاحكة ، مستبشرة تجلس بجواري ، نستأنف الحديث، الذي لم يكتمل بعد.. والذي قد يكون هو سر اهتمامي بها.. أنظر في عينيها، فلا أشعر بالزمن.. ويسرقنا الوقت إلى أن نصل.. و ....

****

قصة قصيرة

حفيف السنابل

علي الرغم من مرور سبعة أعوام عجاف مرت إلا أن كل شيء هاهنا ما زال يحتفظ بمكانه ، ورائحة عبقه الأسطوري ...

ماكينة الحج " أحمد "... مازالت تروي حقول القمح الشاسعة ، المترامية الأطراف ، والتي تكاد تلتصق بالأفق البعيد.. كم أعشق طنينها الضارب كبحر من الشعر الجميل، والنخيل المهتز للريح، كعروسٍ راقصةٍ فوق الترعة، ووسط الحقول.. لم أزل أستمد منها شموخي، وارتفاع هامتي عن الأضغان.. وزقزقة العصافير، والقُمري، وحفيف سنابل القمح ، وظل النخيل النائم علي الطريق.. وأكوام الخوص، وبعض الماشية.. أعمدة التلفونات عليها نقوش، وتواريخ صغيرة، كتبناها يوم كنا نهرب من المدرسة ــ ونحن صغار ــ لنلهو ونلعب في المكان.. نقفز في الترعة حيناً.. وحيناً آخر نرجُم النخيل ، ليلقي علينا رطباً جميلاً.. ثم نلعب بالكرة.. حتى إذا اقتربت الشمس فوق رؤوسنا الصغيرة، وصار ظلنا تحت أقدامنا الحافية، نرتدي ملابسُنا، ونتأبط "خرائطنا" المدرسية، المدفونة تحت جزع النخلة البعيدة، ثم نؤوب إلى البيوت ، وشريط السكة الحديد يبرق كالسيف، ونحن

نزعق.. نتشاجر.. نتسابب.. نشوط حجراً صغيراً.. ونباح الكلاب يشتد علينا.. فنعدو.. ونجري ونحن نضحك.. ونضحك ... و ....
كل شيء هنا يحتفظ بمكانه.. يحتفظ بنكهته الخاصة.. وعبق الذكريات يفتفت حنين القلب شوقاً إلى أيام الطفولة، والصبا .....!!
أمسكت حجراً صغيراً، قلبته بين يدي، تأملت زواياه، نظرت إلى رأس النخيل، أبحث عن عسب البلح، لكن شهر أغسطس يجعل النخل خاوٍ.. شدَّ انتباهي سرب السمك الصغير وهو يلهو بجوار شط الترعة، والتي طالما غطست فيها ليلاً ونهاراً.. لكي أتعلم فن العوم.. وكدت أغرق فيها أكثر من مرة، لولا عناية السماء ، حتى أصبت " بالبلهارسيا " ...
فكنت وأنا صغير ، أتبول ماءً أحمر كشربات الورد.. وكنت أخبئ ذلك عن أمي ، حتى لا تخبر أبي ، فيضربني ضرباً مبرحاً.. فهو لا يعرف أني أهرب من المدرسة، وآتي إلى هنا، حتى أستحم في هذا المكان، النائي.. حتى اكتشفت أمي ذلك ذات يوم.. ووقع ما كنت أخشاه.. ضربني أبي يومئذٍ ضرباً شديداً، ثم حبسني، ومنع عني الطعام والشراب بعدما كتفني من الخلف.. ولولا بكاء أمي ، ورجائها وتحننها له.. لما كنت نجوت كاد أن يقضي عليّ ......
وبينما أنا في تداعياتي.. واسترجاع بعضاً من ذكريات الطفولة.. صفعني صوت قوي تهادي من عمق الماضي السحيق، صوت أعرفه جيداً أنه صوت عم " أحمد ".. صاحب الأرض التي أقف عليها.. وصاحب الحقول الخضراء.. وماكينة الري.. والنخيل.. والبهائم المربوطة، بمحاذاة الترعة.. يرتدي جلباباً

صافياً ، فضفاضاً.. وعلي رأسه عمامة بيضاء.. وشال من الصوف الرمادي فوق كتفه.. أما حذائه فلم أستطع أن أتبينه.. لبعد المسافة التي كانت بيننا ــ ربما كان حافي القدمين كعادته ... ربما ... وبيده عصاً خيزران ....

ــ حاسب تعور البهائم يا ولد ..!

ماتت يدي علي الحجر ونظرت إليه.. ارتبكت حين رأيته قادماً نحوي.. وفي يده عصاه.. التي طالما طاردنا بها، كلما اقتربنا من الترعة أو من زرعه المروي.. تملكتني رعشة خفيفة لما رأيته أمامي.. سقط علي أثرها الحجر من يدي، وكدت أن أنطلق أعانق الريح ، هكذا حدثتني نفسي، لكني تشبثت في المكان.. نشفت.. صُلِبْت مكاني.. وقدماي قد غرست في تحدٍ ، حتى دنا مني أكثر.. وقلبي يعلو ويهبط.. يدق.. يكاد يقفز من صدري.. من الخوف.. أقترب مني أكثر.. فرأيته انفرجت أساريره عن ابتسامة، أظهرت تجاعيد الكبر، بين طرقات وجهه العصفوري.. مد يده السمراء ذات العروق الناتئة.. ربت علي كتفي وهو يبتسم.. وكلبه يتبعه ، متسخ بالطين.. تنبعث منه رائحة نتنة.. فهو لا يفارقه أينما ذهب.. يشّتم الأرض.. يدور حوله.. يلعق ثيابه.. يشمّه.. يعوى.. يلهث.. فيدفعه بعصاه التي لم تتغير..

ــ لا تخف يا عم أحمد ... ؟!!.

ــ أنا عارف أنك شقي من يومك ...

ضحكت في سري.. رميت بصري علي قدميه ، حتى أتأكد من لو حذائه ــ كان حافي القدمين كما توقعت ــ فاتسعت ضحكتي ، وعليَّ صوتها.. وقذفت

بالحجر في الماء ، فتشتت أسراب السمك الصغير ، الذي كان يلهو بجوار الشط ، صنع الحجر دوائر صغيرة فوق الماء، راحت تتسع ، وتتسع.. وهي تهتزُّ هزات خفيفة ... وعمي " أحمد ".. جالس علي شريط القطار، يسألني عن أخباري ..؟... ويذكرني، بأيام الشقاوة ، والعفرتة.. والشمس خلف ظهره تجنح للغروب.. والسماء كلوحة رائعةٍ مزجت

فيها الألوان.. وحقول القمح ، والنخيل ، وأعمدة التلفونات عليها النقوش ، والتواريخ صغيرة.. والترعة المتخمة بالماء.. وماكينة الري تضرب علي بحر الرمل.. وبعض المباني النازحة ، تبدو من بعيد كعلب الكبريت الصغيرة والليل يسحب خيوط النهار الأخيرة.. و .....

****

قصة قصيرة..

المحطة الأخيرة

في صبيحة ذلك اليوم.. خرج مستعجل من البيت.. علي غير عادته.. يتأبط حقيبته الرمادية.. يقف في نفس المكان .... ينتظر الأتوبيس الذي يقله إلى العمل.. كجزء لا يتجزأ من روتينه اليومي.. واقف ينتظر حتى يفرغ النازلون.. فهو لم يعد قادراً علي المقاومة.. فجسمه النحيل يعجز علي دفع تلك الأجسام الضخمة ، والتي تبدو من نظارته المقعرة، وكأنها قطعان من الفيلة الاستوائية.. تأفف في ضجر.. وهو يتمتم ساخطاً ...

ــ زحام.. زحام ...أ.أ.أ.ف ...!!

"سارينة" الأتوبيس تخرم أُذنيه.. يقفز.. متقززاً.. يدفعهُ رجل آدم.. في حنقٍ، واشمئزاز، يأمره بالإسراع حتى يمكنه المغادرة أومأ إليه برأسه وقد انتشرت ابتسامة صفراء بين طرقات وجهه، الذي حفرته الشيخوخة، والمرض.. استطاع أخيراً بأن يجد مكاناً.. ليضع رجله في الأتوبيس.. والأخرى علي السلم.. وهو متكالب علي حقيبته الرمادية.. التي يرقد بداخلها رواتب الموظفين.. أخرج من جيبه ــ بصعوبةٍ بالغةٍ ــ ساعته " ماركة " التُرومّاي" لينظر فيها حتى يتأكد أنه لم يتأخر عن موعده يتوقف الأتوبيس.. ينزل

بعض الركاب.. وقبل أن يصعد غيرهم.. كان قد وجد له مكان آخر أفضل وقف فيه.. أشعل سيجارة صنع محلي ، أخذ نفساً عميقاً ، احتسبه في صدره، ثم أطلقه في الهواء.. يلتحف وجهه المترهل دوائر الدخان.. يسعل بصوتٍ عالٍ.. ينصحه من بجواره.. بعدم التدخين مرة أخرى ويشرع في شرح مطول، عن أضرار التدخين المادية، والصحية ، فضلاً عن حرمتها الدنية.. و..و... يشحط نفساً آخر ، وهو يهز رأسه، مستمعاً إليه ، وقد طلب منه الدعاء له بالهدايا يسعل مرة أخرى، حتى تتهاوى قواه ......

الأتوبيس يشبه علبة سردين.. تصفّح الوجوه التي لم تتغير كل صباح.. نفس المساحيق التي هي من الدرجة الرابعة.. والتي تبعث علي الغثيان، والاشمئزاز، الهواء يكاد ينعدم من حوله ، شعر بالضيق، والاختناق ... تذكر .... " أنه لم يدفع إيجار الشقة منذ ثلاثة أشهر، والبقال البارحة ألمح له عن الحساب " ... شحط نفساً عميقاً من السيجارة، واسترسل في تداعياته "أما المعلم "سيد "ردّه البارحة وهو خاسئاً عندما رفض أن يقطع له نصف كيلو لحمة علي " النوته".. أبتسم وهو يتكأ علي الباب، واثقاً من حقيبته ، التي احتواها تحت جناحيه، اللذين ينزا عرقا، نظر إلى حذائه المتآكل.. وتذكر أنه لم يغيره منذ فترة طويلة ، ......

ــ المحطة اللي جاية للنازل ..؟! .

نزل كثيرون ، وصعد أكثر، وهو كما هو، مرابطاً في مكانه ، يخشى أن يتأخر، ويحذر الزحام ، يقع بصره علي فتاة حسناء، تكاد العيون تلتهمها ، يقترب منه " الكُمسارى "..

ــ اشتراك ..!!

ــ ....

يأخذ نفساً أخير من السيجارة قبل أن يلقي بها من الباب لتتطاير في الهواء.. يتذكر ......

" عم بسيوني حين يفرُك يديه.. حتى يَعُدّ ورائي راتبه.. هو لا يتهمني ــ لا سامح الله ــ ولا يشك في ذمتي.. ولكن يخشى أن أنسى لحكم السن ... أما الأستاذ " محمد " فسوف يأتيني كعادته.. يغمزني بسيجارة ، وكوب الشاي الساخن.. حتى أعد له راتبه.. قبل زملائه.. يتمتم.. "معذور يريد أن يتزوج.. خطيبته هددته في أخر لقاء بينهما.. إما الشقة وإما أن ترد له دبلته، فعمتها معها عريس.. " متريش قوي" ومستعجل كمان" ــ علي حد قولها ــ " يحدّث نفسه ..

ــ آآه..معذور يا أستاذ " محمد " أنت وأمثالك.. الدنيا غلا وبلا.. والفقر ينهش في أخلاق الناس ...!!! ....

ــ أيه الوقاحة وقلة الأدب دي ..؟!!!

يعم الركاب فوضى ..هرج ، ومرج ، وصياح.. وهو ما زال مرابط في مكانه ، ممسكاً بحقيبته كأسدٍ ممسكاً بفريسته ، يصفر الكمساري ، يقف الأتوبيس ،

ينزل بعض الركاب، ويصعد آخرون ، ألمح الفتاة وقد أجلسها شاب بجواره.. تجلس وهي تصلح من فستانها ... قائلة بصوتٍ مرتفع :

ــ قلة أدب ...!!

أحد الصبيان يحمل فوق رأسه.. حزمة من الجرائد.. والمجلات.. يزعق بمد صوته الحار

ــ اقرأ الحوادث ... الإرهاب ... جريمة الاغتصاب الأخيرة ..؟ !!.

راح يقلب عينيه بين المنشطات الملونة.." إسرائيل تعتدي على .... " الكروات والصّرب يحتلون....".. الأمم المتحدة تقول ... العراق ....." مصر"....... وإعدام **47** إسلامياً متطرفاً في الجزائر ....

يهمس شاب في أذنه ..

ــ أخبار الرياضة لو سمحت ..؟!!!

أشارت إليه إحدى السيدات... بالجلوس في المقعد المجاور... يجلس في حذر شديد ... فكثيراً ما قرأ.. أو سمع عن السرقة.. من خلال فتاة جميلة تستدرج الضحية بالكلام.. و.. و...و......

يخرج علبة سجائره.. يشعل النار في واحدِة ينظر من نافذة الأتوبيس ... والذكريات تتقافز في رأسه.. أخرج منديله البنفسجي ليجفف عرقه المتساقط... ينظر إلى المرأة الجالسة بجواره ... وقصص السرقات تملأ رأسه.. و.....

قصة قصيرة ...

الرحلة

بجوار ماسح الأحذية... وبائع الليمون... كان يجلس " بكر تونة "... يبيع اللب ، والفول السوداني ... يخرج كل يوم من بيته... القاطن بساحل طهطا ... مع أول ضوء، وقبل أن تطلع الشمس.. تراه يتعكز في الشارع الطويل.. يدب علي الأرض بخطوات ثقيلة ضعيفة.. ناهز السبعين خريفاً أو يزيد عليها قليلاً، وما تقوس ظهره، وما انحنى ، ثقل سمعه، وضعفت قوته وشاب رأسه، إلا انه يملك بداخله قلباً كبير أخضر، ينبض بالحياة، مليئاً بحب الخير للناس متفائل دائماً، عطوفاً، متسامحاً، طيباً مصلح بين الناس، يكتفي بكوب الشاي الساخن، ليغير ريقه، حتى يشعل سيجارته يسمي الله ويتوكل عليه.. يخرج.. يتح في مشيته.. وما إن يصل إلى الجامع الكبير.. بجوار السكة الحديد.. يتوضأ.. يصلي الصبح.. ثم يفترش كرتونة يضع عليها كميه صغيرة من النبق،والفول السوداني أمامه..وبعض الأوراق التي يبتاعها من أولاد المدارس.. تارة ينقض النبق.. وتارة أخرى يفصص الفول ليعبئه في قراطيس صغيره..ثم ينادي بصوته الجهوري علي من يشتري.. حني يستفتح منه..

ـــ النبق ..الفول السوداني.. ببريزة ..

وحين يركد السوق ..يذهب إلى إحدى المدارس القريبة منه، ليبيع للصبية الصغار.. أو يتجول في موقف العربات.. يبيع لركاب "المني باص" والسائقين الذين يحبونه.. ويضحكون معه.. فإذا رجع لمقرة عند الجامع عند الجامع بجوار ماسح الأحذية، وبائع الليمون، اللذان يخبرانه بأن ابنه الصغير ألشيخ "علي" جاء وسأل عنه.. يجلس.. وكل منهما منهمك ومشغول بما في يديه.. ماسح الأحذية يضرب بالفرشاة علي الصندوق الخشبي، المزين بالصور، والدبابيس اللامعة، حتى يضع الرجل الواقف علي رأسه حذائه، وبائع الليمون يبيع لامرأة شمطاء.. أما هو فيظل يفرز.. وينقض ويقشر.. وينادي علي من يشتري منه.. والميدان يضج من حولهم بالمارة.. في حركة دائبة.. لا تنقطع.. وتلكسات العربات.. تمخر الآذان ، والعظام والأعصاب ..!

ـــ اللب ..الفول السوداني.. النبق الحلو ..

أهل البلد يعرفونه جيداً.. وكثير ما يتندرون بحكاياته ، وبطولاته.. التي لا يمل، ولا يكل من ذكرها.. " لكل من هب ودب ".. ذات مرة سمعتهم يتذكرون ، واحدة من تلك البطولات، والتي مازالت تتعيش في خياله..

"يوم كان الإنجليز يحتلون البلد.. ضرب عسكري إنجليزي ..عندما سمعه يسب أمامه الملك.. أخذه في باطه.. ثم رفعه إلى أعلى.. ثم أهدره في الأرض ثم انهال عليه ضرباً باليمين حتى كاد أن يقضي عليه لولا تدخل الهجانه " وكنت أسمعهم وأنا سعيد وفخور به ....

أذهب إليه من حين لآخر.. أجلس بجواره في صمت وأدب فأنا أحبه كثيراً.. وأحب أن أراه دائما كل يوم.. أقضي له حاجاته ... وألبي ما يريد من طلبات.. أجلس بجواره أصغي السمع وهو يتحدث لي وأنا أتفرسه في صمت، وهيبة وفي حب ..اقرأ ملامحه القمحية، طويل القامة عريض المنكبين، دائماً يرتدي جلباباً بلدياً فضفاضاً، بنية اللون.. أو صافيه.. يتشح شال رمادي، فوق رأسه عمامة مكورة، بيضاء، وطاقية صوف، شغلتها له "أم صباح "علي يدها تلك المرأة التي تسكن بالحجرة المتلاحمة لحجرة زوجته الثانية ...

أراه يستصعب.. يمصمص شفتيه.. وهو يقلب كفيه.. مترحماً على أيام زمان ذلك الماضي الجميل.. وأيامه التي ولت.. ويتمني أن تعود ولكن هيهات هيهات.. فالدنيا قد تغيرت من حوله.. والأيام قد دارت عليه وجارت.. فأصبح بعد أن كان تاجراً.. ومعلماً كبيراً.. وله سمعته في السوق، يبيع اللب والفول السوداني، أمام الجامع في حين صبيانه الذين كانوا يعملون تحت يديه أصبحوا معلمين كبار يتنهد.. يتأوه.. يزفر.. زفرة طويلة ، حاميه.. وهو يتحدث لي بنبرات كلها حزن ، وألم.. وفقر متقع ، عن تلك ألأيام.. وعن الدنيا ، وبلائها.. والزمن الصعب.. ثم يشرد بذهنه هنيهة بعيداً، فلا أدعه يطيل التفكير.. أفتعل السعال.. أكح ،أتنحنح.. أكلمه..أسأله.. حتى ينتبه يستأنف الحديث معي.. عن الدنيا ألتي يشبهها دائماً "بالغازية" التي كان يشاهدها زمان في الموالد .....

وكان يحكي لي قصة تلك " البوتيكات " المرصوصة في ظهر المحطة .. هو يشير إليها ببنانه.. ويحكي عن أصلها.. يوم كان دريسة.. البنايات الشاهقة.. وموقف العربات والميدان.. وشارع المحطة ، الذي لم يكن فيه غير جامع "ألشيخ عبد العال " والري القديم.. والمركز.. ثم يهمس:

ــــ زمان يا ولدي كانت الدنيا برخص التراب ،

رجل أنيق.. بيده طفل صغير.. يقترب منه.. ليشتري نبق.. وفول سوداني لابنه.. يناوله كيساً كبيراً.. وهو يبتسم في وجه الصبي، وأبيه ــــ هكذا هو يصنع في وجه من يشتري منه ــــ يشكره الرجل.. وهو يعبر الطريق.. المزدحم بالمشاة.. والعربات.. وبنات المدارس بزيهم الأزرق ....

أعطيه سيجارة... يشعلها.. يأخذ منها نفساً طويلاً.. يحبسه في صدره ثم يخرجه من انفه وفمه.. وهو ينادي بصوته الجهوري ..علي من يشتري ....

ــــ الفول السوداني ..النبق الحلو .....

المحه يدس يده في جيبه.. فتخرج بقطع من الحلوى الجلاب.. وقنديل " مشوي" وبعض من النقود الزهيدة.. يدفعها في جيبي.. وهو يبتسم.. يدنو برأسه من أذني.. ينصحني.. ويوصيني بأن أنتبه لدراستي.. والمذاكرة.. فهو لن يعيش لي قرناً.. كما يقول لي دائماً.. تترقرق الدموع في عينيه الذابلة.. فيجففها بطرف ردائه.. يحتقن صوته.. يطرق هنيهة تفكير.. بعدها يربت علي كتفي.. ويهز رأسه ثم يدعو لي بطول العمر.. والرزق.. وأشياء أخرى..

كثيرة.. فهو يحبني كثيراً جداً.. وأنا أحبه أيضاً، علي الرغم أن معه ثلاثة أولاد غيري.. لم يبخل علينا في يوم من الأيام.. ولم يحرمنا من شيء.. يلبي كل طلباتنا.. وكان يرفض أن نعمل تحت يدي احد.. وكان يدللني كثيراً جداً.. فأنا أصغر أولاده ....

أذكر وأنا طفل صغير ...

"كان يصطحبني معه.. ليشتري لي الحلوى.. وكان يجلسني بين يديه... يقبلني بين عيني يضحك، وهو يطلب مني، بأن أتلو عليه شيئاً من القرآن.. مما حفظته في الكُتَّابْ.. ليعطيني قطعة "بخمسة قروش" ...

أسمي الله، بعد ما أستعيذ من الشيطان الرجيم إقرأ.." ألم نشرح لك صدرك" أسمعه يقرأ معي ، بصوت منخفض ، خافت.. فإذا أخطأت صحح لي وصوب الآيات.. وهو يشدني من أذني ، ويمرسها.. ثم يؤمن ويصدق، ويضمني بين زراعيه ، يقبلني ثانيةً.. وهو هاش باش في وجهي ، ثم يلتفت لامي.. يوصيها بي خيراً ويطلب منها.. أن تراضيني ، وترضي عني.. فترفض أمي ذلك.. وهي تقول في غضب.. ممزوج بالغبطة ، والسعادة :

ــ دلعك ده هيضره..

فيضحك.. وهو يضمني بين ذراعيه ويقبلني قائلاً لها

ــ خليه يدلع يومين قبل ما أموت ....

تضرب أمي علي صدرها ، بيدها.. مندهشة ، وتبادره بنبرات دافئه ، مليئة بالحب.. والصدق

ـأ بعد الشر عنك إن شاء الله عدو ينك ...

تنتظره أمي أمام الدار.. كل يوم حتى يعود وتنشغل عليه.. إذا تأخر عن موعده ، وتقلق فترسلني.. أبحث عنه لنطمئن عليه ...

ألمحه من بعيد.. علي أول الشارع.. يتعكز علي الحيطان.. يرجع.. بعدما يكون قد صلي العشاء جماعة... يمشي الهوينة ... يتسند الجدران.. في الشارع الطويل ... وفي يده كيس أسود به من فضل الله كثير ....

تستقبله أمي ، بابتسامتها المعهودة ، ألصافيه الحانية، الجميلة ، وقبل أن يتخطى عتبة الدار.. تبادره كالمعتاد :

ــ تأخرت ليه ..؟!.

يجلس يئن.. يتأوه ، يتألم.. وهو يشتكي لها من ظهره.. وقدميه.. فتعيد أمي عليه سؤالها وهي تعد له الطعام، فيجيب فضولها بصوت قوي، لم يشح بعد:

ــ كنت بلقط رزقي ... أين الولد ؟؟

ــ فوق بيذاكر ؟؟؟

ينادي علي ... أنزل مهرولاً ... أجلس أمامه كالمعتاد ... نتناول طعام العشاء ... يهمس في أذني مخبراً.. أن شيخي "

ــ الشيخ أبو زيد " بيسأل عنك..

وأنه مبسوط مني جداً.. ويريد أن أجتهد في ختم القران ، المذاكرة "....

بالأمس القريب ــ ذهبت إليه ــ حين تأخر عن موعده ... بحثت عنه ...

عند الجامع الكبير ... وموقف العربات ... فلم أجده ...

فقد أصبح المكان خاوياً ... احتضنت كرتونته الورقية ..... وعيوني تذرف الدمع ......

وكأني به ينادي :

ــــ الفول السوداني ... والنبق الحلو ......

****

قصة قصيرة ...

الأرملة والقطط

لما رأيتُ الأرملة الشابة... تنظر للقطط ... ويدها قد يبست ، علي شيء ما تمسكه ...
وكأن في الأمر ما يروقها... ويشدّ انتباهها... أيقنتُ أني بصدد أمرٍ ما سيحدث .....
بلعت ريقي بصعوبة ... كتمت أنفاسي ... حتى لا تراني... انزويت متخفياً.. أتابع المشهد عن قرب ....
القطة تهز ذيلها.. تموء.. تثني رأسها.. القط يقترب منها ببطء.. تنفر في وجهه.. تضربه بقبضتها الواهنة.. الضعيفة.. يتلاشها.. يبتعد عنها قليلاً، تموء، تهمُّ بالانصراف.. يعترض طريقها، تموء بصوتٍ هزيل، متموج ، متقطع مُتغَنِج.. والأرملة تضع ما في يدها للفِراخ ... تجلس في زاوية ما.. تنظر باهتمام.. تباعد ما بين رجليها.. يتمطى القطة النفور.. تتثاءب.. تمد قدميها.. حتى يلتصق بطنها بالأرض.. القط يجلس علي مؤخرته.. يفعل مثلها تماماً.. تتلوى.. تحك ظهرها، تتثاءب.. تلعق بلسانها الخشن.. ذيلها..

وشيئاً ما آخر في جسدها.. تزغر للقط الأسود.. المتكور بعيداً.. بازدراء والأرملة قد أغمضت عينيها.. وطأطأت رأسها ابتسمت.. تأَوَّهَت.. وكأن المشهد قد أعجبها وراق لها ، تقعي في صمت مطبق ، تترقب عن كثب، القطة تمد قدميها ، والقط في الهدوء الذي يسبق العاصفة.. كتمثالين من الحجر.. في أحد المعابد الفرعونية القديمة.. هكذا هُيَّئ لي.. تتنهد الأرملة في حرقة.. يدها علي خدها والأخرى تمسك بعود من الحطب اليابس.. القط يصدر صوت عشوائياً.. ممطوطاً كانسان بدائي.. فتحاكيه القطة البيضاء.. تُعدل الأرملة في جلستها.. وهي تحدق في صمت.. وحيطة وحذر.. القطة تقترب من القط ، المتكور مكانه بجوار كومة الخص.. تقف أمام في صمت.. تستدير حوله.. والأرملة تخط خطوطاً مستقيمة وأخرى مستديرة، متداخلة، ثم تغيب في زفرة حامية، طويلة.. ويدها علي صدغا.. الذي وردته الشمس ....

" قبل أن يتوفى زوجها، مذ ثلاثة أعوام تقريباً كنت أراها بالفساتين الملونة، القصيرة، اللاصقة، كعارضة أزياء.. كــ " مليكان ".. بجسدها الممشوق ، الطويل، عود فارع فرنساوي.. بشرتها البيضاء.. وشعرها الكثيف المتموج.. منهدل علي كتفيها، يزين قورتها، الأمعة... وكانت لا تكف عن المعاكسات، والضحكات المثيرة ،والنظرات المشعة كالليزر.. أما اليوم فقد تغير كل شيء.. البريق المشع من العينين الواسعتين انطفأ.. والوجه الجميل الساحر فقد جاذبيته.. والعطر النافذ ، اختفي.. والضحك توقف..

والفساتين صارت سوداء.. حتى أصبحت كالغراب الناعق بائسة.. يائسة.. تعيسة.. مكتئبة.. حزينة.. ومنطوية علي نفسها.. ونادراً ما تسمعها ، وهي تضحك.. أو تتحدث مع أحد ."....

القطان يعتركان.. القطة تقفز.. تجري ، تصعد جدار ، الخص.. والقط النفور خلفها.. تلف.. تدور.. يتبعها.. يلحق بها.. يعتركا من جديد نظرت لساعة معصمي.. كانت تشير إلى الواحدة ظهراً .....

أغلقت الكتاب الذي كنت أتصفحه.. وضعته علي الأرض.. وتركت الأرملة والقطط.. نزلت صنعت كوباً من الشاي .."كشري".. ثم عدت إلى مكاني.. جلست حيث كنت، دون أن تشعر الأرملة.. أشعلت سيجارة.. وظلت أتابع المشهد.. الأرملة والقطط.. وأشعة الشمس الدافئة.. أشحط نفسا عميقاً من سيجارتي المشتعلة.. أعقبها برشفة شاي .....

فجأة ، يثب القط علي القطة.. برهة.. يطبق فيها علي عنقها بأنيابه.. القطة ترمي رأسها تتلوى تحته.. وهي مستسلمة له تماماً.. تذكرت الأرملة ... كانت جالسة بلا حركة.. وكأن حواسها قد تعطلت فجأة.. فأصبحت.. كحجر البهت.. ساهمة.. متسعة الحدقتين.. تنظر للقطة التي تحك رجليها الخلفية..

افتعلتُ السعال.. انتبهت.. تلفتت نحوي بسرعة مدهشة.. وعيناها ملئت علامات تعجب واستفسار.. طوحت برأسي بعيداً.. صفرت.. ابتسمت.. فأطرقت في خجل ......

" أراها من زمنٍ ليس بالقريب.. تنزوي.. تجلس ، القرفصاء في زاويتها.. المعروفة .. تحدث نفسها وقتاً.. ثم تنضي عنها ثيابها.. قطعة.. قطعة.. ثم تصنع مع نفسها ما تريد.. بعيداً عن عيون الصغار.. وهي تعلم جيداً انني أراها.. ولكنها تتجاهلني .."...

وحين شعرت بوجودي.. أنفلت هاربة.. تنزل علي مهلٍ.. وهي تنظر.. وأنا أتبعها ببصري تغيب الشمس الدافئة.. والقطط.. ولكن الأفكار من رأسي لم تغيب.. فأمسكت الكتاب من جديد قرأت.... " وإما ينزغنك من الشيطان نزغٌ فاستعذ بالله .."..." قل أعوذ برب الناس ".. و .....

****

قصة قصيرة ..

مشاكسة × هلوسة

مرغماً كنت طرفاً ثالثاً.. في محاولة يائسة، بائسة.. لتهدئة الموقف ......
وأنا أتقلب كالمحموم علي فراشي.. والمشاجرة كانت علي أشدها.. بدأت بحوار عفوي، وعادى ما لبث أن تطور، إلى نقاش حاد.. ثم انقلب بعدها إلى معركة شرسة، وضارية.. دارت رحاها بداخلي.. أسفرت عن هروب النوم.. فوقعت أسير الأرق.. والفكر ....
برهة صمت.. ليست بالقليلة.. التقطت فيها أنفاسي، والقلب يدق ، يصفق، يرقص، يغني والعقل ينظر له بازدراء، وغطرسة.. والنفس حائرة ، وقلقة.. وأنا لا ادري ماذا أفعل ..؟!.. طلبت من الجميع الهدوء، وعدم الإزعاج ... فطلب العقل الكلمة ، فأعطيتها له، فقال لي: "سيدي إنها لا تحبك " فطلبت منه أن يُثبت ليّ صدق ما يقول بالدليل القاطع.. دار حول نفسه مرتين، أو ثلاث ـ لا أذكر ـ وكله زهواً ، وغرور وبصوت الواثق من نفسه تكلم فقال :
ــ " بكل صراحة هي لا تحبك.. وأكبر دليل علي ذلك.. أنها لم تصرح لك في يوم من الأيام بحبها لك ، ولم تقولها لك " .....
قاطعتُهُ .. منفعلاً.. متسائلاً.. مستوضحا منه أكثر..

ــ "وبما تفسر ..؟.. تصرفاتها.. ونظراتها.. وكلامها معي ..؟..

ــ "هز رأسه.. مبتسماً.. وهرش.. ثم رنا إليّ بمكر.. ودهاء.. وهو يتمتم ــ " هكذا النساء يا عزيزي.. من طبعهن التصنع أمام الرجال .."أخرسني كلامه.. أطرقت حزيناً.. أفكر.. لكن القلب لم يدعني أطيل الصمت.. قفز غاضباً.. وأندفع في تجويف صدري.. لكزني بشدة.. صرخ محتجاً.. وأنا أزفر زفرة حامية طويلة.. رنوت إليه.. وأنا أرتخيّ علي مقعدي.. وبمرارة الصبار في حلقي.. طلبت منه أن يتكلم.. ويدلي بادلوه.. فراح يصفق.. ويرقص.. ويصفر.. ويغني.. فصرخت في وجهه وأنا أخبئ ابتسامة غاضبة منه

ــ " كف عن هذا الهراء.. وادخل في الجد.. قل ما عندك.. ودليلك .." اهتز مبتهجاً.. جزلاً سعيداً.. ثم أبدى يقول.. ــ " العقل يا عزيزي دائما لا يؤمن إلا بالمادة ، والمحسوس هو سيد الأدلة والبراهين لديه.. والحب يا عزيزي شيء معنوي.. وشعور لذيذ.. وإحساس رائع ، وجميل.. وعاطفة جياشة صادقة.. موطنها القلب.. ولا تخضع لسلطان العقل .." ...

تدخل العقل محتجاً ، رافضاً ، وفي غضب شديد صاح في العقل بصوت عالٍ..

ــ " أنا احتج ، لا تحاول أن تؤثر عليه بهذه الطريقة القذرة.. والأسلوب الرخيص القذر.."

ضربت علي رأسي بيدي.. حتى أسكت صوت العقل.. المنفعل.. الغاضب.. الثائر.. وأمرته مهدداً بأن لا يندفع.. ويقاطع القلب مرة أخرى وأومأت

للقلب بأن يكمل حديثة.. مراعياً عدم الخروج عن الموضوع.. هز رأسه عدة مرات وبابتسامه ماكرة.. خبيثة نظر إليّ.. وأخذ يهمس في أذني.. بصوت ينز دفئاً.. وحنان..

ــ " ألا تنظر لعينيها السوداويين.. ألا تسمع حديثها العذب.. الرقيق.. ألم تقرأ في علم النفس.. شيئاً عن الإيحاء.. وتوارد الخواطر وتلاقي الأرواح.. وتمازج الطباع.. والطبائع والتشاكل.. والمشاكلة.. أن كثيراً من صفاتها ، وطباعها.. تشبه صفاتك، وطباعك.. إنها تشبهك إلى حد كبير جداً يا عزيزي .. ألا يكفي كل ذلك دليلاً مقنعاً.. علي إنها تحبك "..؟!..

صرخ العقل مرة أخرى.. معترضاً.. ومحتجاً بنبرة ساخرة.. متهكمة

ــ " ههه.. أتريده أن يلغي عقله.. ويسير خلف سراب خادع.. وأوهام كاذبة بدليل مبني علي الظن والتخمين.. وضرباً من الخيال "؟!

يضحك القلب.. وبنفس النبرة اللاذعة يرد عليه مستنكراً

ــ " بل أنت الذي تريده أن يلغي قلبه.. ويحي من غير قلب ".. ؟!.

يُخفض العقل صوته ، وهو يرد عليه بصوت الناصح الأمين :..

ــ "بل أخاف عليه من الخداع مرة أخرى.. فيصدم.. ويعذب.. ويصاب باكتئاب حاد.. والإحباط القاتل.. وعندها.. لا يرحمني ولا يرحمك .".!

ــ " بل قل تخاف علي نفسك ، فأنت أناني.. ولا تحب إلا نفسك ." ..

ــ بل أنت مريض بالوهم.. دائماً تتخيل أشياء ليس لها في الواقع أدني صحة "

ــ " بل أنت مريض بالهوس والجنون.. ودائماً تفلسف الأمور.. وتمنطقها علي هواك.. وكما يحلو لك.. وعلاوة علي ذلك أنت جبان.. وبتهرب من الحقيقة .."

ــ " أيها التعس المخدوع ..أنت السبب الرئيس في عذاب هذا الكائن المسكين.. بترهاتك.. وأوهامك.. الكاذبة.. ليتني أستطيع أن أخلصه منك .."

ــ" ولما لا تكون أنت السبب في تعاسته.. وشقائه.. وعذابه.. ولماذا لا أكون أنا الذي يخلصه منك .." !

وفي حين غفلة من عيني.. يبسط كل وأحد منهما يده للآخر ليقتله.. اختنقت.. وصاخت روحي.. فصرخت بكل قواي المتهالكة.. وبكل احباط :

ــ" ولماذا لا تكونا سوياً السبب في تعاستي، وشقائي.. وعذابي.. والأجدر بي أن أتخلص أنا منكما بيدي.. حتى استريح منكما مدي الحياة .."

فصرخا في وجهي.. بصوت واحد متهكمين.. وكأنهما اتفقا عليّ

ــ ولماذا لا تكون أنت السبب أيها الأبله ..؟!.

أشتط غيظاً منهما.. نهضت كالمجنون.. أدور في الغرفة الواسعة ..أبحث عن أي شيء يخلصني منهما.. فلم أجد أمامي الا الشرفة.. فتحتها بسرعة.. حتى ألقي بهما في عرض الشارع..أمسكت عقلي اولاً، لوحت به في الهواء فالتزم الصمت.. وهو ينظر إليّ في تحدٍ صارخ، عجيب وغريب، منتظراً، ما سأفعل به بينما القلب.. أنتفض كالعصفور في صدري.. منتحباً.. مستعطفاً.. وهو

يتشبث بصدري الذي تحول إلى كير.. ابتسمت في نفسي.. رجعت للوراء.. أغلقت الشرفة.. خاصةً بعدما لفحتني موجة هواء باردة .. احتضنت قلبي بذراعي.. فغضب العقل من فعلتي هذه.. فأمسكته به لأسكته.. وأنا أغوص في فراشي.. أطفأت المصباح.. وقبل أن يستأذن الأرق ليرسل النوم.. سمعتهما يضحكان.. بصوت منخفض وهما يتذكران ما حدث منذ قليل ..وقد تملكتهما رعشة خفيفة.. تجاهلتهما تماماً.. وابتسمت بسمة خفيفة.. ثم أغمضت عيني.. وتعجبت مما حدث.. وأنا في حيرة من أمري.. أريد أن أتخلص منهما.. وفي نفس الوقت.. لا استطيع أن أعيش بدنهما .... !!!!

****

قصة قصيرة ...

عم بخيت والسمك الكبير

عم بخيت في العقد الخامس من عمره.. نحيف العود.. لا بالطويل البائن ، ولا بالقصير... يرتدي جلباباً بلدياً، فضفاضاً، صافية بلون السماء، وطاقيته فوق رأسه ، وشاله علي كتفه دائماً هاشاً، باشاً في وجه الناس جميعاً، سهلاً ، سمحاً، مرحاً، بسيطاً ، عشري، ومتواضع جداً ، أهلي ومنفتح على الآخرين، والهم لا يعرف له طريق، أو الحزن ، هكذا عهدته، مذ عرفته.. وهذا هو الانطباع الذي يتركه بداخلك ـ من أول وهلة ـ وفي نفس من يراه.. من يدنو منه، ومن يكلمه يشعر وكأنه يعرفه من زمنٍ بعيد ....

ما من مرة ذهبت فيها للإدارة، التي بجوار المحطة ، إلا ووجدته يضحك مع الكبير، والصغير.. والرئيس ، والمرؤوس.. فهو يحب الضحك، والانبساط، مثل عنينه.. وربما تعداهما إلى اللهو البريء، والهزار مع الموظفين الذين يحسدونه على ذالك ، ويعدونه ترفيهاً، وترويحاً عن النفس ليخفف عنهم ساعات العمل الطويلة .....

عمله في الإدارة فراش.. وقائم بالكانتين (البوفيه).. ليس هذا فحسب.. بل له في كل شيء.. دفاتر تحضير.. ورق الإجازات ، والمأموريات .. الخ .." ....

شاطر جداً.. وشهم ، وابن بلد.. فهلوي.. وصاحب صاحبه.. الكل يحبه.. ولا يرفض له طلب، قدمه هي أول رجل تدب ــ كل صباح ــ في الإدارة.. يفتح.. ينظف المكاتب.. يكنس يمسح ثم يجلس بعدما يكون قد وضع غلاية الماء علي النار.. يستقبل الوافدين ، والموظفين.. بابتسامته المعهودة ، والتي لا تغيب عن وجهه البشوش أبداً.. بنظراته الممعنة.. الفاحصة.. يتفقد الجميع.. ومن لم يحضر يسأل عنه.. وإذا رأى أحداً.. مهتما، أو محزوناً.. أو مضايق، أو حتى صامت لا يدعه يصمت.. يكلمه حتى يضحك.. وذلك بروح الدعابة.. والمرح ..

ــ ما لك ، المرأة ضربتك النهاردة ولا إيه..؟!.

ينظر إليه.. مبتسم في وجهه.. وربما ألقي له بكل ما يحمله في جوفه.. من هموم الحياة.. وضغوطها ، ونغصها.. ويفضفض له عن مشاكله التي لا تنتهي إلا بانتهاء العالم..

ينهض عم بخيت ليعد الشاي.. وهو يلوح بيده.. وفي وجهه ابتسامته الجميلة.. وهو يردد :

ــ ملعون أبو الدنيا.. ولا يهمك ، روق واشرب الشاي.. ما فيش حد وآخد منها حاجه ..!..

وعندما يكون الزحام على أشده في آخر الشهر والكل منهمك ، ومشغول بقبض راتبه تراه... لا يكف عن التصفيق.. وتعليقاته اللازعة.. ومشاكسته الطريفة.. تسمعه بين الفينة والفينة يرفع عقيرة صوته..

بكلمه واحده لا أكثر.. والتي تكاد تكون شعاراً له.. أو من إختراعه.. والكل قد حفظها منه ، عن ظهر قلب ....

ــ أوعى السمك الصاحي.. السمك الكبير ..!!!.

عم بخيت.. رجل مزارع.. فلاح معه أرض.. يقوم على زراعتها.. بعد إنتهاء ساعات العمل الرسمية.. أحياناً أراه يحمل فأسه خلف دراجته.. والمقطف.. وهو يغني فوق الجسر الحربي.. بصوت يسمعه من يمر بجواره :

ــ يا بحر يا أبو البحور موجك لعب بي.. عشمتني بالسمك ونزلت له آلميه ... دوبني موجك ليه ليه.. على البحر ورماني.. واللي بدور عليه.. سايبني وحداني.....

ذات مرة، ذهبت إليه لآخذ راتبي الشهري.. فقد كلفته أن يأخذه من الصراف.. فهو محل ثقة من الجميع.. فأرشدتني زوجته القديمة علي مكانه في الحقل.. (يقال بأنه تزوج بامرأة أخرى لتنجب له الولد.. وهي حامل في شهورها الآولى).. فذهبت إليه في الحقل.. فرأيته متربا، وعفرت التبن تملأه.. وهو يدرس القمح.. وقفت للحظة فوق رأسه.. وهو لا يشعر بوجودي.. مرتدياً سرواله الطويل الأبيض.. والسديري فوق فانلته الصوف بني، قد امتلأت بزرات التبن.. والطاقية على رأسه.. والعمامة البيضاء مفرودة على كتفيه..أعطيته صوتي لينتبه إليّ :

ـــ يا عم بخيت.. ؟!.. يا عم بخيت ..؟! ..

أنتبه.. التفت نحوي.. وإبتسامته المعتادة.. تعلو وجهه.. مندهشاً

ــ أهلاً يا شيخ (.... ..).

نهض ، وهو ينفض يديه في سرواله ، والسديرى المغبر.. مد يده ، سلم علي.. ورحب.. أخذني من يدي.. وفوق سور الحقل جلسنا نتحدث.. تضحكنا سوياً برهة ، ثم أخذت راتبي.. وشكرته.. وانصرفت ......

عم بخيت.. رجل عجيب.. لديه قدره فائقة ، في حفظ ما يقرب من عشرة ألاف عامل.. يأتون إلى الإدارة ــ من كل بلاد الله ــ وبديهته حاضره دائماً.. ذكائه متوقد.. وفطرته سليمة.. والكل يحبه.. فهو شهم.. وإبن نكته.. خفيف الظل.. والدم..

أذكر في بداية تعييني.. ذهبت إلى الإدارة القديمة.. فلما رآني.. أخذ يكلمني.. ويضحكني.. وكأنه يعرفني من زمن فات.. رفع الكلفة.. وتخطى الحدود.. والرسميات.. ولآني كنت لا أعرفه بعد.. غضبت وقتها.. وثرت في وجهه.. فتركني وانصرف.. دون أن ينبت ببنت شفه.. غير أنه أخذ يضحك.. وهو يضرب كف بكف.. فعجبت لصنيعه.. ودهشت لما حدث.. فسألت عنه.. فأخبروني عنه، وأوقفوني علي حاله.. فرأيتني أتقرب منه.. كلما جئت إلى الإدارة.. لآكلمه.. وأمازحه.. بعدما تأسفت له.. علي ما بدر مني.. وقلت له:..

ــ سامحني يا عم بخيت ، واللي ما يعرفك يجهلك ...؟

ومن حينها صرنا أصدقاء.. وأصبحت واحداً من الذين يحفظ إسمهم جيداً.. ويضحك معهم والذين إذا ما قابلوه في الشارع.. يسألوه عن السمك ،

وأخباره.. وهل هو كبير ، وأم صغير وهذا الرمز يعد من إبتكاره.. للرواتب.. والبدلات.. التي نتقاضها.. والتي لا يعلمه إلا كل من ذهب إلى الإدارة ليقبض راتبه الشهري وسمع عم بخيت ، وهو يرفع صوته في تصفيق حاد

ــ أوعي السمك الصاحي.. السمك الكبير ..؟؟!

" فالسمك الكبير يعني الراتب.. وأما السمك الصغير فيعني بها البدلات، والعلاوات وغيره "

البارحة ذهبت إلى الإدارة الجديدة.. لأُقدم بيان حالة.. وأقبض البدلات المتأخرة المستحقة ليّ

لمحته.. وهو يدخل الإدارة.. وبيده ورقة شاي كبيرة.. فناديت عليه.. لآسأله عن أخبار السمك فالتفت بوجهه البشوش.. ضاحكاً.. وقال بصوت عالٍ :

ــ يا مسهل.. لسه ما فيش حاجه جاءت حتى الآن ...!

تجاوزنا السلم سوياً.. ومكتب الصراف.. ثم جلست علي احد المكاتب.. في الغرفة المتاخمة لمكتب الصراف، الذي لم يأتي بعد، والساعة تخطت العاشرة صباحاً.. لاحظته وهو يضع الشاي فوق النار.. وهو ينشد لـــ "ياسين التهامي".. فهو متيم به.. وبقصائد المدح، والذكر.. وكان يتمايل برأسه يمنيناً.. وشمالاً مصفقاً بيديه السمراوين تارة.. وأخرى يطوح بهما في الهواء.. وكأنه في حضرة.. أو حلقة ذكر..

ــ يامدد يامدد يامدد.. يا عم يا فرغل يا مدد.. يا سيدي أبا العالمين المدد.. أبا القاسم مدد

وهو في حالة وجد ، وهيام تام ...
فأخذت أضحك في سري.. وأنا متجاهله تماماً لكني كنت اتابعه بأذني ، وعيني أحياناً.. حتى يستمر في الإنشاد إلى آخر ألقصيدة.. وراحت عيناي تستسلم لتعسيلة خفيفة ، فالمروحة فوق راسي.. والجو حار.. وكنت متعباً.. ومرهق ، وفجأة، توقف عن الغناء ، والتصفيق، والمدح وقد ألتفت زافراً ، زاغراً إليّ.. بنبرةٍ حادةٍ.. وهو يصب الشاي في الأكواب، الزجاجية التي أمامه.. وقد أبتسم في وجهي .....
ــ ما دام مش قد الحاجة بتعملوها ليه ....؟!!!
فهمت قصده.. واكتفيت برد الأبتسامة عليه.. واسترخيت علي المقعد.. ووضعت يدي علي خدي.. وأخذت أفكر فيما سأفعله بعدما أعود إلى المنزل.. وهو يتابع القول : ...
ــ أنت هتنام هنا ولا إيه . !!
ــ أصلي المكان بعيد يا عم بخيت، والدنيا شمس، والواحد منا ما بيصدق يجي ..!.
هز رأسه وهو يعبر الممر.. متبختراً في مشيته.. ليقدم الشاي للموظفين الذين حضروا وهو يقول بصوته الجهوري.. المتميز بالكنة الصعيدية..
ــــ هات بطانية لعمك الشيخ يا ولد ... !

ضحكت مع من ضحكوا.. وعندما جاء الصراف.. أخذت مستحقاتي المالية.. وانصرفت.. تاركاً خلفي الإدارة.. وعم بخيت وهو منهمكاً في إعداد الشاي.. والإنشاد الديني.. وقصائد المدح التي يحفظها عن ظهر قلب.. فأشرت إليه بيدي من بعيد ـ مبتسماً ـ أن سلام ـ فأشار هو بيده فوق رأسه ـ مبتسماً ـ لي ـ أن سلام ـ ...

****

قصة قصيرة..

الشمس البيضاء

ثلاثون عاماً خلت

لو أن الزمان يعود.. وتعود الحياة للوراء.. وعقارب الزمن تتقهقر.. لتعود الأرض كما كانت واسعة.. ترتدي ثوبها السندس الخضر القشيب.. والمدي الفسيح ينحني.. يوشوش النخيل.. والزهور الملونة تهتز علي ألأغصان والعصافير تتراقص في الفضاء البعيد.. والقمر يرتل أنشودة الخلود.. والنسيم العليل يُقبل وجه الياسمين.. وقطرات الندي تبلل الأشياء.. حينها تصبح الحياة حلوة.. والسعادة تملآ هذا الكون..

.....

لو أن الزمان يعود.. وأعود طفلاً بريء.. نشيطاً.. أستيقظ قبل الشمس البيضاء.. أقفز من مخدعي.. أسبقها بقدمي ألصغيرتين، الحافيتين.. أجلس متكوراً أنتظرها.. منكمشاً في نفسي.. تحت الحائط اللبن أمام البيت.. يصفعني البرد.. أنتفض كقط صغير.. تدهسه دهشة عيون المارة.. أجمع يداي ، أنفخ فيهما أفركهما ، أدسهما تحت جناحي ..لألصقهما في جسدي الدافئ.. تحت ثيابي.. وأسناني تصطك ببعضها وبخار الماء يتصاعد من فوق

الربيع.. وفمي قد صار مدخنة.. وأنا أنتفض في سعادة غامرة ..وأمي تزعق علي.. تناديني في غضب وإشفاق.. حتى أذهب إلى المدرسة.

....

لو أن الزمان يعود ..ليعود الهو ، والعب ورفاقي بعدما تفرقوا عني.. منغمسين في هموم الحياة ، ومشاغلها التي لا تنتهي.. إلا بانتهاء العالم.. لنجري ، ونلعب ، ونقفز في الترعة الصغيرة.. ثم نخرج لنتسابق من جديد ونلعب بالكرة.. والشمس التي أنتظرها كل صباح.. تختبئ خلف السحب البيضاء.. لتطل علينا من حين لآخر.. تلعب معنا.. ونحن لا نكل، ولا نمل، ولا نتعب.. ولا نعبأ بشيء الا اللعب.. للمساء

والجوع يفترس ببطوننا الصغيرة.. ونحن لا نشعر إلا بالسعادة ، والمرح.. وتخرج الأمهات لتبحثن عنا، في كل مكان، لتردنا إلى البيوت ولما يجدننا يهرولن خلفنا نجري أمامهن.. فتزعق أمي على، بكل صوتها تناديني، تتوعدني ، وتخيفني بأبي وهي تهددني.. فأجدني أجري أمامها في صمت، وخوف إلى البيت.. وبعدما اغتسل أتناول عشائي.. أذاكر دروسي.. ثم أرتب جدولي ، وشؤوني الصغيرة في حقيبتي وبعدها أنام.. وأنا أحلم باليوم الجديد ....

.....

لو أن الزمان يعود.. ليتحرك قلبي الصغير من مكانه.. ويقفز.. يجري.. خلف بنت الجيران الصغيرة.. ذات الخامسة عشر ربيعاً، ليتعلق في عينيها الزرقاوين، وشعرها ألأصفر الطويل.. الذي يضاهي خيوط الشمس.. وهي تسير في طريقها إلى المدرسة في كل صباح.. أقف ، أنتظرها ،أمام الشارع.. لتنظر إلى ، وتبتسم .فأرتبك ، وأفرح.. ويهتز قلبي في صدري.. وأظل يومي أفكر فيها.. وأنا سعيد أغني.. وارقص.. وفي الليل أحلم بها ، وبعينيها.. وأتمنى لآن أكون شاعراً.. لأكتب فيها الشعر، أو رساماً لأرسم ضحكة عينيها تبلوها جميلاً ، أو نحاتاً لأصنع لها تمثالاً أزين بها وجه مدينتي الخرسانية ، أو ثرياً لأتزوجها وأظل أحلم.. وأحلم حتى يأتي الصباح ...

****

قصة قصيرة ....

حُلم

في الوقت المحدد ذهبت.. ركبت السيارة.. وبيدي صحيفتي المفضلة.. ألقيت نظرة سريعة فوق الوجوه الناعسة داخل السيارة.. والعيون التي لم تزل تقاوم النوم ، ارتخيت فوق الكرسي السائق ينادي على نفر واحد

ــ فرد واحد.. فرد واحد.. نفر ، نفر ،

الميدان يعج بالمشاة.. علي بعد مائة متر.. غرزة شاي صغيرة.. صاحبها منهمك في تقديم الشاي للسائقين، والزبائن من الركاب.. وبائع الفول المدمس ينادي ، وهو يعُد بعض السندوتشات للموظفين :

ــ الفول المدمس الحلو..

وبائع الصحف واقف علي الرصيف.. وتحت أبطه كومة من الجرائد والمجلات ...

ـــ مازال الوقت مبكراً

وأنا أتلفت على جارتي.. ربما تأتي لنذهب سوياً.. ورحت أفكر ، وأسرح بعقلي ، وتركة لعقلي عنان الخيال ، ورحت أتخيل.. وأحلم ... " حلمت..

بالنجاح في الامتحان ، والوظيفة.. والزواج.. والبيت.. والأسرة.. والأولاد.. والاستقرار والحياة الكريمة ... و.. و.. و .."

أخيراً انطلقت العربة.. فوق الطريق الزراعية.. راحت عيناي تلتهم كل ما يقابلها في الطريق.. الحقول الخضراء.. النخيل.. البيوت.. الناس الأنعام المبدورة وسط الحقول.. بعض الدكاكين تفتح أبوابها.. العربات الملونة تسبح في نهر الشارع.. والشمس تُعاكس السائق ، الذي يرفع يده، ويشير للذين يلوحون له بأيديهم ليقف لهم.. يضرب " تلكسات " يهدئ من سرعته.. أمام احد المدارس وهو منهمك في معالجة شريط " الكاست".. فيخرج الصوت مشروخ.. يضرب المسجل بيده.. يخرج الشريط مرة أخرى.. يهزه بيده ، يضربه..

" بتبلون "العربية.. يضغط عليه مرة أخرى، يدخله في الكاست، بعدما ينفخ فيه بفمه.. والصوت لم يزل مشروخاُ يردد خلف المغني..

ـــ غلطة.. وندمان عليها ..؟..

أخرجت سيجارة من جيبي، أشعلتها.. نفخت الدخان بعيداً.. قلبت الصحيفة بين يدي.. دسست وجهي بين أوراقها.. نظرت في ساعة معصمي.. كانت تشير للتاسعة صباحاً.. ورحت أردد في نفسي ...

ـــ ما زال الوقت مبكراً ..؟

الموقف قريب من ميدان الثقافة.. ترجلت.. حتى وصلت قلب الميدان.. فردت خطواتي.. حتى أتفادى زحمة العربات.. مسكت قدمي الرصيف..

الجدار علق عليه إعلان ضخم.. للفنان احمد أدم " شجيع السينما " تذكرت الضجة الإعلامية حول هذا الفيلم.. فكرت أن أدخل لأشاهد العرض.. منعني الخوف من التأخير عن المعاد.. فتابعت السير ، والتسكع علي الطريق.. ريثما أصل المكان ،

ــ مازال الوقت مبكراً

ها هو مستشفي الهلال.. رابض أمامي.. بجوار سوق الخضار.. كما وصف ليّ تماماً.. تأكدت من أنني لم أضل الطريق.. سألت أحد البائعين الجائلين عن المكان فأشار بيده نحو المبني المجاور.. هززت له رأسي.. شكرته ، مبتسماً.. واصلت السير.. وأصوات الباعة في السوق ، تعلو ، وتنادي بأثمان السلع.. مع أصوات العربات المزعجة الفظيعة.. فكدت أسُد أُذني من شدة الضجيج.. وأخيراً وصلت ، دخلت المبني . كان مليئاً بالعمال ، ومعدات البناء ، وبقايا أنقاض الهدم ، يبدو أنه ترميم لبعض جدرانه.. تصفحت الفناء.. الأدراج المدرسية.. ملقاة ، ومعطوبة علي الأرض ، وبجوار الباب الرئيسي أكوام بعضها فوق بعض ، وعدد لا بأس به من المتقدمين للمسابقة جلوساً على بعضها ٬ وقد حضروا باكر ، للمسابقة المعلن عنها.. والباقي يحضر تباعاً.. جلست على مقعد دراسي بجوار الباب الجديد.. نظرت في ساعت معصمي.. كانت تشير للعاشرة صباحاً .

ــ لم يزل الوقت مبكراً ..

ليلة أمس قالت ليّ جارتي.. أنها تقدمت لهذه المسابقة.. جُلت ببصري بحثاً عنها وسط الزحام ، فلم أجدها.. ثم كررت المحاولة مرة أخرى.. لعلى ، وعسى أن أجدها.. ولكن دون جدوى.. أخرجت علبة سجائري..أشعلت واحدة وراح عقلي يسرح في أشياء كثيرة.. ويسبح في دنيا الخيال ....

" حلمت بالوظيفة.. والتعيين في القطاع العام والزواج بمن أحب.. والبيت.. والأسرة ، والأولاد.. والاستقرار.. والحياة الكريمة .... و... و..."

أفقت علي صوت أجش.. ينبعث من جثة ضخمة.. يقف في الدور الثاني.. يلقي التعليمات علي من حضر من المتقدمين للمسابقة الواقفين في انتظار الأسماء ...

ــ من واحد إلى مائة ، يصعدوا لأعلي.. ومن مائة إلى مائتين، يقفون بجوار السبورة هناك ومن ....؟!

اندفعت مع الكتل البشرية المتزاحمة.. المتدافعة كقطعان الماشية.. اختفيت وسط الزحام ، حتى وصلت إلى صاحب الصوت.. دفعت إليه ــ بصعوبة بالغة ــ الورقة التي أحضرها لي ساعي البريد بالأمس ــ لفني بنظرة حادة .. وقال ليَ وهو يبتسم ابتسامة باردة ، باهتة ، بلهاء ...

ــ احنا عوزين يا استاذ رقم الإيصال ..؟!!

أحد الواقفين بجواري.. استوضح منه الأمر أكثر.. ثم أخبره بأن الإيصال قد فقد منه.. فلم يرد عليه بشيء.. والكتل البشرية الملتفة، المتدافعة حولي.. تكاد تمنع عني الهواء.. بصعوبة بالغة، انسحبت من بينهم.. جلست علي

اقرب أريكة.. ريثما أشتم نفسي.. برهة أخرجت فيها.. حافظة نقودي المموهة .. المزدحمة بالأوراق في جيبي.. أبحث فيها عن الإيصال.. أخرجت أحشائها كاملة ، وضعت كل ما فيها أمامي.. محتوياتها .. " صورة من المؤهل الدراسي.. بطاقة الرقم القومي .. صورة شهادة الخدمة العسكرية.. شهادة وفاة والدي، الذي رحل عن الدنيا منذ عام.. أُقصوصة ورق بها أرقام تلفونات.. إعلان صغير قطعته ، من جرية المساء.. عن مجموعتي القصصية الجديدة.. مبلغ زهيد من المال ، لا يتعدى المائة جنيه مصري "..

هذا كل ما كان في حافظتي القديمة " ...

بسرعة البرق أعدت كل شيء إلى مكانه.. هرولت خلف الرجل الضخم.. أخذت أناديه بكل صوتي ..لكن صوتي قد ابتلعته الأصوات العالية المرتفعة، المتشابكة، المتداخلة.. فدخلت وسط الزحام من جديد، فدفعتني أمواج البشر المتدفقة.. حتى وجدت نفسي أمام السبورة الخشبية.. التي علقت عليها كشوف أسماء، وأرقام المتقدمين للمسابقة، نظرت فيها بحثاً، وأخيراً تعرفت علي اسمي ورقمي بصعوبة بالغة.. فتذكرت جارتي، فبحثت عن اسمها، وعن رقمها إشفاقاً مني عليها من هذا الزحام القاتل، فلم أجده، ولم أستطع بأن أتعرف عليه.. فعدت إلي مكاني الأول، بجوار الباب الرئيس في ارتباك، وقلق ، وحيرة ، جلست أراقب وأترقب.. أنظر.. وأنتظر دوري في دخول اللجنة التي ستمتحنني.. برهة تركة فيها لعقلي عنان الخيال ، ورحت أتخيل.. وأحلم من جديد ...

" حلمت.. بالنجاح في الامتحان، والوظيفة.. والزواج... والبيت.. والأسرة.. والاستقرار، والأولاد.. والحياة الكريمة.. و.. و.. و.. "

انتبهت على صوت جارتي، وهي تكلمني بصوت رقيق، ويدها تهزني لأعود إلى نفسي وإلى تلك المدرسة المكتظة بالبشر ، من متقدمين من الجنسين للمسابقة التي أعلوا عنها من أيام وقد.. وضعت على وجهها ابتسامة جميلة.. متفائلة

ــ أنت من بدري هنا ،،؟

ــ أنا بحثت عن اسمك ورقمك، فلم أعثر عليه

ــ أنا وجدته.. أسمك، ورقمك بيـ نادوا عليه قم ، واذهب إليهم بسرعة..؟...

ــ ....

كان نفس الصوت الأجش ، ينبعث من نقس الجثة الضخمة.. لنفس الرجل الأصلع المنتفخ بكرشه.. يقف في الدور الثاني.. ينادي على أسمي ، ورقمي في التسلسل الخمسون بعد المائة، ومازال يجيب على أسئلة بعض المتقدمين للمسابقة، والواقفين في انتظار أسمائهم، ويلقي عليهم التعليمات الصارمة، ويطلب منهم الهدوء والصمت حتى يستطيع كل واحد أن يسمع اسمه ورقمه.. اندفعت نحوه بسرعة الصاروخ، أو كالطلقة الطائشة التي خرجت من السلاح على غير هدى، ثواني وكنت بجواره، الهث، وأنا أقدم له الإيصال، نتشه من يدي وهو يدفع بي إلى الداخل.. اللجنة عبارة عن عدة لجان، كل اثنين، أو ثلاث نفر، في ركن ما وأمامهم شاب، أو فتاة والأسئلة شفهي ،

عبارة عن سين وجيم من غير ، لا ورقة ، ولا قلم ، وطبعاً بعد أن تقدم هويتك ، ويراجع أسمك في الكشوف التي أمامهم ، وكلاً في تخصصه ، ومن ثمَّ يعطوك درجة، ويضعوا لك نتيجة مبدئية، وهذا الامتحان تمهيدي، ثم يرقي الناجحون بعد ذلك ويصعدون، إلى امتحان آخر، يكون هناك في "القاهرة" ويكون شفهي، وتحريري أيضاً.. ومن ثَمَّ في الأخير ، المقابلة الشخصية... المهم... أديت الامتحان، وخرجت، بحثت عن جارتي، فلم أجدها ، فص ملح وذاب، فانتظرت قليلاً، ربما تكون قد دخلت إحدى اللجان، جلست تحت الشجرة، أنتظرها حتى أسألها، عن اجتيازها للامتحان، ولنعود سوياً، ومرت ساعة من الوقت، وأنا أنتظرها.. أخرجت علبة سجائري، أشعلت واحدة وجلست أنتظر .. حتى طال انتظاري ....

****

قصة قصيرة..

غالبًا الأقدار تختار

أخذت تتحدث ليّ.. تهزي.. وتَهرَف بما لا تعرف.. تهلوس بكلمات غير مفهومةٍ..
ثم ترنوا إليّ ـ من حين لآخر ـ بنظراتٍ غامضةٍ تشبه علامة استفهام كبيرة..؟...
وكنت أستمع لها باهتمام بالغ ، وأنا أحاول جاهداً أن أفهم ما تقول.. وكذلك سر غموضها المفاجئ.. وفك شفرتها.. وقراءة ملامحها.. باحثاً عن معني لما تقوله.. ولكن هيهات دون جدوى ....
بَيْدَ أني كنت أشعر بأن بيننا مسافات بعيدة.. وحدود ، وفواصل لا نهائية ، وكثيرًا ما كنتُ أبدي لها اعتراضي على ذلك.. إما تلميحًا.. وربما كان تصريحًا.. أما هي فكانت تتعجب من سؤالي الذي كنتُ دائماً أطرحه عليها باستمرار.. وألح به ..
ــ " لماذا اختارتني أنا بالذات ..؟! "..
أو بمعني آخر..
ــ " لماذا وافقت علي الارتباط بي .؟! ".. فلا تجيب إلا بكلمة واحدة فقط ..

ـــ " القسمة والنصيب "..

وأخيرًا أقنعنا أنفسنا بأن الحب الصادق ، قد يأتي مع الأيام ، وبعد الزواج ، وتعاهدنا علي ذلك، واتفقنا، ومع ذلك كنت أتيها وفي النفس منها حاجة....

" أنا الذي كنت مقطع السمكة وذيلها ، الولد الشقي ، الجريء ، العفريت ، الحبوب ، دنجوان عصري وزماني ، الـذي مشى مع طوب الأرض ، وعرف بنات بعدد شعر رأسه، وكنت ، وكنت ، وفي الآخر أتزوج هكذا ، زواج صالونات ، " ...

ارتبطت بها قدراً ، وغالباً الأقدار تختار لنا أشياء كثيرةٍ ، بدون رغبةٍ منا أو اختيار.. ثم نكتشف في النهاية.. بأن هذا الذي كنا نبحث عنه ونريده ....

كل عالمها الصغيرة كان ، أسرتها ، البيت ، المدرسة ، الكتب ، وأنا وفقط.. إنسانة بسيطة جدًا، وطيبة جدًا، وخام ، لا تعرف شيءً عن أو في الحياة.. خبرتها في الحياة ضعيفة، بل تكاد معدومة.. كانت وباختصار ورقة بيضاء.. وكان يسعدني ذلك منها.. والذي كان يسعدني أكثر، عندما كانت تؤكد ليّ علي انفراد، في كل لقاء يجمع بيننا هذا الأمر.. ثم تهمس في أذني ــ " بأنها لم تكن تعرف أحدًا من قبل أن أدق علي بابها ، وبأني أول إنسان يقتحم عالمها الصغير.. ويدخل حياتها بقوة ...

فأنظر إليها ، أطيل النظر ، أدقق في ملامح وجهها البريء ، أتفرس طفولته ، وأتأملها في حبٍ.. وتمضي الساعات سريعة جداً.. وكأنها ثواني معدودةٍ .....

وكنا نحزن عندما نفترق ، أو نبتعد ــ ولو لبعض الوقت ــ عن بعض.. لكن كان عزائنا الوحيد ، بأن الذي ربط بيننا ، سيجمعنا مرة أخرى ....
وكنتُ أعد الأيام والليالي ، وأنتظر يوم اللقاء بلهفة وشوق ، غير أنه كان هناك شعور ما غريب وغامض لا أدري ما هو ، هذا الشعور كان يداخلني عندما كنت أتركها وأنصرف ، شعور أشبه ما يكون بصراع نفسي بين قوتين متضاربتين.. مد وجزر، حركة وسكون ، حزن وفرح ، لهفة ولا مبالاة ، وربما يكون غير ذلك لكن لا أدري ما هو بالضبط.. وذلك هو الإحساس نفسه الذي كان يأتيني في اليوم الذي سألقاها فيه، ولا أجد له تفسير.. وكثيراً ما كنت أفكر في عدم الذهاب إليها.. ولكن كنت أنساق إليها تحت تأثير من نوع ما.. وبقوةٍ خرافيةٍ هائلة تدفعني إليها وتحرك قدماي سريعاً نحوها ربما يكون هذا هو الحب ، ربما..؟!.. وربما قدري المبرم ، المبهم.. أو ربما يكون نوعاً من الاحتياج ــ إلى امرأةٍ جديدةٍ ــ تدخل حياتي القاحلةٍ ، والتي صارت كأرضٍ جرداء تملأها الأشواك من كل ناحية ....
فلا أفيق إلا وهي واقفة في انتظاري ، تنظر إليّ من الشباك، ترقبني أن أجيء وقد رسمت علي شفتيها ابتسامة رقيقةٍ ، جذابةٍ ، وفي عينيها نظرة فاترة.. وقد بدأ عليه شيء من الخوف، والارتباك اللذيذ، ليزيد في جمالها، ويضيف إلي رصيدها بداخلي.. وحين تلمحني من بعد ، تضطرب فرائصها ، وتختفي ... أدخل.. ألتهم السلم في خطوتين، أو ثلاث، لا أذكر.. أصعد إليها.. أجلس..

أنتظرها تأتي إليّ ، وأنا قاعد علي الأريكة، أعدُ نفسي ، أُستَّف أفكاري، كلماتي.. أرتب هندامي.. وأهيئ نفسي، وروحي، للقائها المنتظر.. تدخل بعدما تكون قد تهيأت لاستقبالي.. يتركنا الجميع وينصرفوا غير بعيدٍ عنا ، أشعر بعيونهم وهي تتلصص علينا ـــ من حين لآخرـ وأذانهم قد صارت رادار لصق علي الحائط.. لكني كنت لا أهتم لذلك...

أتنحنح.. وأبدأ في الحديث.. أحكي لها عن حياتي.. وعن أسرتي.. ماضيّ وحاضري.. وعن عملي المفضل.. وما أحب.. وما أكره.. و... و ... و ...

وكنت أأكد لها في كل لقاء.. أنني إنسان مختلف تماماً عن كل البشر.. فأنا غريب الأطوار، متقلب الأمزجة ، هوائي ، لدي طموحات بحجم الكون ، وأحلام تفوق الخيال والوصف ، ولكنها مستحيلة المنال.. وبأني ذو أمزجة متباينة ، متغايرة.. ولدي رغبة ملحة في تغير العالم من حولي ، ليعود كما كان جميلاً ومليءً بالحب والسعادة ، هذا العالم الموبوء ، الذي ملئ بالغش ، والنفاق، والأقنعة المزيفة "

وكانت تستمع إليّ باهتمام بالغ، وحب شديد.. وفي عينيها بريق كالسحر.. وعلي شفتيها ابتسامة فاترةٍ.. وحين أتعب من الكلام.. أتوقف قليلا لأستريح.. ولألتقط أنفاسي .. وأجفف عرقي الخارط علي وجهي.. فتسألني بذكاء.. وبراءة الأطفال بعينيها

ـــ " لماذا توقفت عن الكلام .؟! "..

فأخبرها بأني قد تعبت ، وسئمت من الكلام ، ومن كل شيء ، ولا أجد ما يقال غير الصمت واستحالة السؤال ....

فكثيراً ما كنت أطلب منها بأن تحدثني هي عن نفسها ، فتهرب مني ، وتختلق الأعذار، وتتعلل بأنها ليست خبرة ، وبأنها لا تجيد الكلام ، وبأنها ليست جريئة مثلي ، ولا فصيحة ، وبأنها لا تمتلك البراعة في التعبير ، واللباقة التي امتلكها أنا ــ علي حد زعمها ــ حتى تتكلم ، وتعبر عما يجول في خاطرها ، وما بداخلها.. وفي النهاية تعتذر.. موحية ليّ بأن لديها كلام كثير جداً.. سيخرج في حينه ..؟!.. وتمر الأيام ، وتتوالي ألقاءات بيننا ، وفي كل لقاء أكتشف فيها شيئاً ما جميل.. يشدني إليها أكثر شيءً جميل لم أجده في أي أمراه أخرى عرفتها من قبل ، أو صادفتها في حياتي.. شيء جميل لا أدري ما هو ..؟! .....

وبدأتُ أشعر بأن الهوة ــ التي كانت بيننا ــ متسعة اقتربتْ وارتأبتْ ....

وبأن الاختلاف الكبير الذي كان بيننا والذي كان يصل أحياناً إلى التصادم قد التقى في نقطةٍ اتفاق.. وكأن شيءً لم يكن ....

وبأن الأمور التي صارت بلا عودة ثبتتْ، والمسافات التي حاولت جهدي أن أقربها وحدها اقتربتْ.. والحصون المنيعة التي حاولتُ جهدي أن اهدمها قد هُدمتْ بعدما كانت قلاعًا محصنة.. كلها اندكت مرة واحدة تحت أقدام القدر..

ثم أعود إلى بيتي.. أدخل غرفتي الصغيرة.. أغلق الباب عليّ.. أوقد المصباح.. أفتح النافذة التي تطل علي الليل ، والقمر، والنجوم في السماء تتراقص جزلة.. أسحب كرسي وأجلس، أفكر فيها، أتخيلها تجلس بجواري ، أحدثها، وتحدثني، ألاعبها ، وتلاعبني، وأظل هكذا حتى الصباح .....

وعندما أنام أحلم بها أيضاً.. ويأتيني طيفها في المنام ... فـ ....

****

قصة قصيرة..

رسالة إلي قلمي العزيز

لما ارتعش القلم في يدي.. فرحت جداً ، وزغردت.. وقلت : مدد يا رب .... أصل من زمان ، وأنا كنت مستني يفوق، ويصحصح لي ، يكلمني ، وأكلمه ويحكي لي ، وأحكي له ، ويشكي لي، واشكي له ، على الـ بيَّ ، لأنه صديق عمري ، ومالي الدنيا عليَّ.. وما لي حد غيره ، يخْلِص لي في الدنيا ديَّ..

من يوم ما كنت طفل صغير، وأنا في الكُتَّاب عند الشيخ " الطليحي " تعلمت، وعلمني، كيف أتهجى اسمي بالحروف، واسم أبويا ، وأمي ، وأخواتي، والشارع الطويل الـ ساكن فيه ، وعلمني كمان أرسم صورة بيدي ......

"شجرة نائمة على ضفاف النيل، والقمر جوا قلب البحر بيستحمى ، لكن حزين ومركبة راسية على مينا، وولد قاعد يصيد ساعة أصيل، والنهار عدى وفات، بيميل يقبَّل جبين الليل، ويرمي كلمة في ودن الكون، والطيور ملء الفضا الواسع، أسراب بترسم قلوب وهي مروَّحة، عماله تغرد، ولا الكروان ، والليل مليان معاني وأسرار.. ولا شجر اللبلاب ، والنخيل يرقص مع الريح ......

ومن يومها عشَّقني في كلامه المعسول.. ويسحرني بخفة دمه ، وخياله الواسع، بوسع الكون ، ومن ساعتها ، وهبت له روحي، عمري ، لو فرغ حبره أمده من دمي لأنه أصيل صار همه من همي.. وبقينا أصحاب على الحلوة والمرة .. إن مال الزمان زى النخيل نميل معه ، ولو انعدل ننعدل وياه .....

يا قلمي الحبيب.. والله ليك وحشة كبيرة.. تعرف أنا كنت نادر لما ترجع لي بالسلامة.. أعمل إيه ، أعمل لك حفلة كبيرة ، وزفه وزيطه وهليلية، وفرح من ألف ليلة وليلة ، وأعزم فيها الليل ، والقمر ، والنجوم ، والشمس ، والميَّه والنور ، والهوى، حتى الطير في السماء.. وكل شيء في الكون..

لأنك واحشني، وغالي عليَّ ، زى ضي عينيَّ، ومهم جداً عندي، فوق ما يتصور خيالك ، يا قلمي العزيز ......

فاكر لما كنا صغيرين.. كنا بنسهر سوى.. تحت القمر.. أو تحت الشجرة الـ على أول الطريق ، أو حتى في الشارع الضيق الطويل ، كنا نقعد نفكر ، أنا وأنت سوى نكتب إيه، ونقول إيه ، للبنت الحلوة الصغيرة ، البنت المغرورة بنت الجيران.. حيلة أمها، ودلوعة أبوها ، فاكر لما رسمت لها صورة، ووردة حمرة ، ووردة صفرة ، وكتبت لها يومها جواب، وقلت لها فيه :.. " بحبك قوي يا عينيِّ ، وبغير عليكِ من النسيم ، وبخاف عليكِ من الهوى الطاير لما يلمس هدب ثوبك الحرير وكلام كتير ، وفي آخر الجواب، رسمت سهم بين قلبين، وحرفين باللغة الثانية لغة الخواجات وهي قرأت الجواب ، وما ردت

عليه إلا بضحكة حلوة من عينيها السود الحلوة ... ياآه كانت أيام حلوة.......

ولا يوم ما كنا نذاكر سوى فوق السطح، ومعانا الكتاب، كنت دايماً بتتعفرت على الورق وبين السطور تستخبى، وتميل علي توشوشني وأنا أسمعك.. تمسك إيدي توريني ، وأنا أطاوعك ، وتملى الدنيا خطوط ، أيشي أزرق ، واشي أحمر ، واشي أخضر ، وتملى الورق شخابيط ، ....

ولَّا في الامتحان.. كنت تضايقني ، وتزعلني منك قوى ، لما كنت أشوفك متردد وتخاف من الورق الأبيض قدامك، مع إنك جريء، وفي بعض الأحيان متسرع ، ومتهور ، ومجنون ، كنت تخاف مع انك بحر كلام ، بحر كلام ملوش شطوط، لكن كنت تخاف تقول يطلع كلامك غلط ، وأنت لا تحب الغلط، ولا الحال المايل، وتتنفض في إيدي، وتترعش، وتتربك، وتصعب عليَّ ، ولما أهزك تعرق ، وإحنا في عز طوبي، وأمشير ، ولما أتحنن فيك ، أصعب عليك، تراضيني بكلمتين ، وهما الكلمتين ، ونطلع أنا وأنت نجري، نجري في الدنيا الواسعة ، مبسوطين نلاقي أساMينا، متعلقة بين الناجحين ، ونغني لشاديه ، وعبد الحليم..

"وحياة قلبي وأفراحه ".. ونسهر لحد الصبح صاحيين ، نتكلم سوى أنا وأنت ، عن المستقبل وعن الناس الغلابة ، الطيبين ، المطحونين ...

فاكر أول مرة عرفتك فيها.. وأول كلمة ، وأول يوم.. لو كنت ناسي أفكرك ... يومها كان قلبي مظلوم.. وجوايا أسى كتير ، وهموم ، وأحزان بالكوم ، وجرح

جوين، وكنت يومها حزين.. ولا لاقي حد أكلمه، أحكي له، واشكي له، أفضفض له بكل حاجة جوايا، ودورت كتير، وتعبت كتير، ولفيت ما لقيت، إلا أنت بتنادي عليَّ.. ساعتها فرحت زى الطفل الصغير، يومها فتحت لك قلبي.. وقلت لك حاجات كتير وحكيت لك كل حاجه، وحكيت لك حكايتي من الألف للياء .....

فاكر انك بكيت ساعتها عليَّ.. ولما خلص الكلام.. لقيت نفسي ارتحت.. وهديت ولقيت عندك الحل.. وراحة البال.. والراحة.. من حينها.. لما أكون زعلان.. أو مضايق.. أو مخنوق.. أو حتى فرحان.. أجيلك ، أجري لك تفتح لي صدرك وتضمني جواه بحنان.. وتسمع لي، من غير ما تقاطعني زى زمان... وبقيت أنت صديق عمري.. وحبيتك حب جنوني.. حب فوق الوصف ... حب من نوع تاني.. ولقيتني ما أقدر أستغني عنك.. في الشغل أخدك معايا.. وفي السفر.. والشارع أمشى وأنت معايا.. وفي كل مكان.. إيدك على إيدي .... يا قلمي العزيز.. اصحى بقى وصحصح لي وفوق ، عشان تحكي لي ، وأحكي لك وتشكيلي واشكي لك على الـ جرى لي.. لأنك صديق عمري.. ولأني الليلة جوايا كلام كتير ....

****

" حفيف السنابل ، تجسد رحلة البسطاء "

بقلم / الأديب والناقد /
محمود رمضان الطهطاوي

يواصل القاص" علي حزين " العزف على الوجع الإنساني.. من خلال مجموعته القصصية الثالثة "حفيف السنابل "..والتي تجسد حالة خاصة للقاص.. حيث يلملم من خلالها مجموعة قصص طويلة إلى حد ما.. بالنسبة لقصص المجموعة الثانية.. التي تميزت بقصر " الحدوتة ".. بالإضافة إلى التقطيع.. .. أما في هذه المجموعة.. فيتوغل القاص.. عبر أغوار النفس البشرية.. من خلال مجموعة من القصص.. تكاد تمثل سيرة ذاتية لشخص ما.. لما يربطها من خيط رفيع لتقترب من الرواية لو قسناها بما يكتب الآن من رواية حديثة.. حيث لا مقاييس ولا معايير ...

فهناك الحدوتة/الأصل، تللك المأساة الإنسانية التي تطفح، وتطرحها كل القصص بلا استثناء.. هذا الخيط الرفيع.. هو الذي يجعلها متصلة/منفصلة، وكأننا أمام بطل واحد يدخل معترك الحياة.. يجسد واقع الصدامي مع الحياة ، أو بصورة دقيقة حتي لا نظلمه نقول: صدمة الحياة له.. فهو بطل يحاول عزو الحياة ليكون له مكان.. لا يريد أن يكون مهمشاً.. يبحث عن دور.. يدخل التجربة الحياتية بكل حلوها ومرها.. يعتصر

الحياة.. وتعتصره، فيذوبان معاً.. ومن هنا جاءت الحدوتة مشحونة.. بالعنصر الدرامي.. معجونة بالمأساة .. حتي في قمة لحظات السعادة.. فجاءت القصص معبرة.. واستطاع القاص بحبكة ودراية ..وتجربة.. وعفوية.. وفطرية.. بكل هذا التمازج / المتضاد ، استطاع ان يصنع قصة مدهشة ، تعبر عن الوجع الإنساني الكامن فينا.. وتجسد مشاعر متوهجة.. وأحاسيس رهيفة..

ولا شك إن التصاق القاص بالبيئة الشعبية... واحتكاكه المباشر بتللك الطبقة الدنيا/الغالبية العظمي، كون لدي القاص هذا الثراء اللغوي، والقاموس الشعبي.. الذي استطاع ان يوظفه بصورة مباشرة.. وغير مباشر في العمل الفني فأعطاه هذا المذاق الخاص.. والنكهة الشعبية المميزة.. ان القاص يخوض في عالم البسطاء.. ويعبر عنهم لأنه منهم وبهم.. وهذا ما أن يطرحه بقصد أو بدون.. فجاءت قصص المجموعة شعلة من المشاعر الدافة.. وقطعة من هذا لعالم ، مالم يكن كل هذا العالم.. بل يؤكد القاص أن هذه القصص جزء من تاريخه هو.. عندما يصف لنا هو منزله.. في قصة (سلال من الشوك) يقول: .."..علي بعد مائة وخمسون متراً.. من محطة طهطا.. تجاه الشرق.. يقطن شارع (العبد).. رقم المنزل " **33** ".. ذلك الشارع الضيق الطويل جداً.. كثيراً ما أغرق في سره " وفي القصة.. " المحطة الأخيرة يجسد لنا صورة حية تنبض بالحياة والحب وتبين قدرة القاص علي

وضع الكلمة في قالب من لحم ودم وهو يقدم لنا صورة موجزة عن رحلة " والده ".. ليس والده فقط.. ولكن والد كل البسطاء / الأغلبية.. لقد جسد القاص "الرحلة" وبلورها في صورة صادقة.. نابضة بالحياة ..حتي اشعرنا بالفخر والحب لهذا الرجل البسيط.. الذي أحببته من كلماته.. وقدرته علي احتواء الكلمة ورسم الصورة.. .. أما إذا انتقلنا إلى قصة (تشرد).. فتظهر هنا قدرة القاص علي دمج الحلم بالواقع.. وكيف جسد تلك المأساة الإنسانية.. لهذا الولد الشريد.. الذي تمني ان يكون كلباً ليعثر علي طعامه.. متطلبات حياته ولكن من حوله لا يوفرون له هذه الحياة .. حتي وهو في قمت نشوته مع أنثاه وسط القمامة.. بعيداً عن اعين المتلصصين.. يخرج عليه الصبية.. ولا يتركونه.. هذا الأسقاط.. استطاع القاص أن يوظفه.. فجاء الرمز بسيطاً بعيداً عن أي تعقيد.. وجاءت القصة مؤثرة.. وعامرة بالإسقاطات.. كما وظف الرمز في قصة (زيارة من نوعٍ ما ...) ..وفي قصة (ورقة من سفر لحياة)يجسد القاص مأساة جيل ويحاول بأقل عدد من الكلمات.. وبإيجاز شديد أن يقدم لنا تلك المأساة الإنسانية التي يعاني منها.. كل بيت مصري.. تللك البطالة التي يعاني منها شبابنا.. والتي تدفعه للفراغ الروحي.. ويترتب عليها الكثير ..لقد قالت القصة الكثير ..وعبرت عن الفراغ.. .. وعن هذه الثورة الكامنة.. يقول القاص ..".. فقد صار كل شيء حولي كئيب.. كل شيء تافه في نظري.. وغير ذي قيمة تذكر.. فقد كرهت الأشياء جميعاً.. حتي نفسي التي تسكن بين جنبي.. مللتها.. سائمتها..

والإحباط عشش بداخلي.. باض.. وافرخ ..شيئيان.. أو قل حقيقتان.. لا ثالث لهما.. سكنا خلايا المخ.. يعذباني كثيراً جداً.. يؤلماني.. يؤرقاني.. ويقضا مضجعي.. أما الحقيقة الأولي.. إحساسي بالفشل الذريع.. برغم أني قرأت جميع الكتب ... الصفراء منها.. والبيضاء.. وتعلمت في اعرق الجامعات.. حتي حصلت علي أعلي الشهادات.. الجامعية.. وفي النهاية الناتج.. العائد.. صفر.. وللأسف الشديد.. عمري ضاع أدراج الريح.. والحصيلة لا شيء علي الأطلاق.. وأنا كما أنا.. محلك سر ..أو قل أجري في مكاني.. أو أدور حول نفسي.. كلهم بمعني .." أما قصة (حالة خاصة).. فتواصل العزف علي وتر البسطاء.. وكأن القاص.. يلتقط بالكمرة هذا المشهد لأب وابنه ليلة أول يوم في العام الدراسي.. وهو في الشارع.. متجول ليشتري له شنطة رخيصة الثمن.. واستطاع القاص أن يبرز لحظة انسانية من خلال هذه الحدوتة البسيطة ..وينسج حولها حالة من الوجع الإنساني.. ليواصل لعزف علي وتر البسطاء.. أما قصة (وارأساه).. بكل ما تحمله من بساطة.. فهي تجسد مأساة مجتمع بأسره.. صرخة يطلقها القاص.. في وجه الرتين اليومي.. والذي أصبح واقع معاش.. ومصدر قوى يقف في وجه كل مخلص وجاد.. وبالجملة قصص المجموعة تعبر هذا الحاجز الإنساني.. وتتوغل حدوده.. وخطوطه الحمراء.. وتقلب أوجاعاً.. وتغزو مشاعرنا

ويحق لنا أن قول له شكراً لك علي مشاعرك الفياضة ....

الكاتب في سطور

* الاسم / على السيد محمد حزين
* واسم الشهرة / على حزين
* تاريخ الميلاد / 8 / 8 / 1967
* المؤهل / ليسانس أصول الدين والدعوة الإسلامية بأسيوط
* شعبة / الحديث وعلومه .
* يعمل / إمام وخطيب بالأوقاف المصرية
* العنوان / ساحل طهطا / سوهاج
* عضو عامل في نادي أدب طهطا
* عضو مركزي / محاضر مركزي سوهاج..
* عضو عامل لشعراء العامية المصرية .
* كاتب.. وقاص.. وروائي.. وشاعر
* دعي للعديد من المؤتمرات الأدبية .
* شارك في ندوات المجلس الأعلى للثقافة
* منها " المؤتمر الأدبي الخامس عشر لإقليم وسط الصعيد الثقافي، بالوادي الجديد " الخطاب الثقافي وسط الصعيد (الواقع والمستقبل) 3/ 3/ 2015

*مؤتمر أدباء إقليم وسط الصعيد الثقافي بسوهاج لعام ــ **2016** " المؤسسات الثقافية والحراك المجتمعي "

* ومهرجان القصة القصيرة الأول بسوهاج **26** / **11** / **2017** / أجيال.. وإبداع دورة القاص القدير الأستاذ / محمد عبد المطلب

* مؤتمر نادي القصة السادس بأسيوط " القهر والاستبداد في سرديات كتاب الصعيد" دورة الأديب الراحل " محمود البدري ـ **7** / **12** / **2017**

* مؤتمر اليوم الواحد بمحافظة سوهاج... " تجليات الإبداع الجديد في سوهاج " **3** / إبريل / **2019**.. .

* نشر أعماله في العديد من الدوريات والجرائد والمجلات الأدبية المصرية علي سبيل المثال جريدة " الجمهورية ـ والأهرام المسائي ـ و روزليوسف ــ واليوم السابع ــ وجريدة المساء ـ وأخبار اليوم ــ مجلة الحوار ــ ومجلة أقلام " وغير ذلك

* شارك في كثير من ندوات المجلس الأعلى للثقافة

* كرم بشهادة من " مؤسسة أسرار الأسبوع " في إحدى جولاتها الرائعة في قصر ثقافة سوهاج مساء يوم الأربعاء **8** / **2** / **2017**.. والتي يرئس مجلس إدارتها الشاعر الكبير // محمد سليم الديب

* تناولت بعض إعماله ضمن " رسالة ماجستير" للقصة القصيرة في سوهاج للأستاذ الباحث // السيد محمد علي // ابن سوهاج وقد أشرف علي رسالته

الأستاذ الدكتور / محمد عبد الحكيم / "جامعة أسيوط ــ كلية الآداب ــ قسم اللغة العربية ــ الدارسات العليا "

* نشر عملة ضمن كتاب الجمهورية " **50** قصة قصيرة.. " في يونيه عام **2000**..

* نشرت أعماله بالصفحات والمجلات والمواقع الأدبية التي تتصل بعالم الفضاء الإلكتروني ــ مثل موقع فيتو، والمنار الدولية، والمجلة الجزائرية الثقافية، وصدى الفصول ، ومجلة المصباح دروب أدبية، وغير ذلك الكثير،

* له خمسة مجموعات قصصية مطبوعة ــ

1 ــ " دخان الشتاء" من الهيئة العامة لقصور الثقافة عام **1999** م ..

2 ــ " وحفيف السنابل " عن فجر اليوم للطباعة والنشر عام **2004** م

3ــ " أشياء دائماً تحدث "عن فجر اليوم للطباعة والنشر عام **2004** م

4 ــ اعترافات أنثى بريئة دار ديوان العرب للنشر والتوزيع عام **2021** م

5 ــ " مقام سيدنا الولي " دار ديوان العرب للنشر والتوزيع عام **2021** م

*وله ديوانين فصحى مطبوع

1 ــ " الرصاصة الأخيرة " دار ديوان العرب للنشر والتوزيع عام **2021** م

2 ــ " عندما يبكي القمر " دار ديوان العرب للنشر والتوزيع عام **2021** م

* وفاز بالمركز الأول مرتين علي التوالي في مسابقات أدبية لنادي أدب طهطا.. ما بين عام / **1997** إلى عام **2000** م

* وله تحت الطبع ـ مجموعتان قصصيتان "غرفة رقم (**5**) " و " المجنون "

* تحت الطبع ــ روايتان ــ**1**ــ "اجازة "ــ **2**ــ "ايراد "

* تحت الطبع ــ

* ديوان " ولسه بحلم " عامي "

* ديوان " تغريدات صغيرة " فصحى

* للمراسلة ــ ساحل طهطا ـ حارة العبد ــ سوهاج

* البريد الإلكتروني :

alielsaeed472@yahoo.com

* للمراسلة ــ ساحل طهطا ـ حارة العبد ــ سوهاج

تليفونات التواصل

محمول **01018763675**

وتليفون أرضي **4761104** مفتاح **093**

منزل **093476110**

****

محتويات الكتاب

إهداء..4

سلال من الشوك..5

تشرد...15

زيارة من نوع ما 19

لقاء 24

"ورقة من سفر الحياة "...28

حالة خاصة..31

" وآه رأساه"..35

المراهقة...43

فتاة الاستعلامات...46

حفيف السنابل...50

المحطة الأخيرة..54

الرحلة 58

الأرملة والقطط.. 65

مشاكسة × هلوسة.. 69

عم بخيت والسمك الكبير... 74

الشمس البيضاء 81

حُلم... 84

غالبًا الأقدار تختار 91

رسالة إلي قلمي العزيز... 97

" حفيف السنابل ، تجسد رحلة البسطاء " 101

الكاتب في سطور.. 105

محتويات الكتاب 109

تمت بحمد اللّه

مجموعة قصصية

حفيف السنابل

علي حـزيـن

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية
1442 هـ 2021 م
دار ديوان العرب للنشر والتوزيع
مصر – بورسعيد
جوال: 00201211132879
E-mail: mohamedhamdy217217@gmail.com